القواعد المستنبطة في الدعوة إلى الله من كتابي الإبانة الكبرى والصغرى للإمام ابن بطة العكبري

د. عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الزيد

معلم متقدم بوزارة التعليم المملكة العربية السعودية

Elicited rules in Dawah from Imam Ibn Battah Ala'kbari's books "Alibaanah Alkubra wa alsughra"

Dr. Abdulaziz ben Abdullah ben Abdulaziz Alzayd

A Senior Teacher, Ministry of Education, Saudi Arabia

ملخص البحث:

تناول هذا البحث قواعد في الدعوة إلى الله مستنبطة من كتابي الإبانة الكبرى والصغرى لابن بطة العكبري، وهدف إلى بيان قواعده في الدعوة إلى الله والإفادة من منهجه الدعوي في قضايا الدعوة المعاصرة. واعتمد الباحث المنهج الاستنباطي في استخلاص القواعد الدعوية، ومنه خلص إلى نتائج البحث، ومنها: أن قواعد الدعوة إلى الله المستنبطة من كتابي الإبانة؛ تتمثل في أن الهدي والخير في الاتباع والشر في الابتداع، والأخذ بنصوص الوحيين وتقديمها على العقل والرؤى والمكاشفات والعادات وعدم إهمالها، والبدء بالأهم فالأهم من القواعد التي تؤصّل أمرًا منهجيًا مهمًا في الدعوة إلى الله، وهو مبدأ رئيس في سلامة الدعوة من التناقض والخلل، ومنهج رباني وسنة شرعية، وقاعدة لزوم الجماعة وإمامهم ونبذ الفرقة والتحزب تعد من أعظم مقاصد أصول الإسلام في الدعوة إلى الاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف، ولهذا الأصل أهميته وضرورته في بقاء المجتمع واستمراره، وعلى الدعاة معرفة ما يسوغ وما لا يسوغ من الاختلاف؛ واحترام الرأي الآخر في القضايا التي ليس فيها نصٌ قاطع ولا إجماع فاصل، وأنه ينبغي ترسيخ منزلة العلماء الربانيين في نفوس الناس، والثقة فيهم والرجوع إليهم عند المشكلات ونزول المعضلات وعند حلول الفتن والشبهات، كما أن مواجهة الغلو والتجذير منه ضرورة حياتية معاصرة.

Abstract:

This article aims to address the rules of Dawah, elicited from Imam Ibn Battah Ala'kbari's books "Alibaanah Alkubra wa alsughra". It also aims to spread his approach in contemporary issues of Dawah. The study employs the deductive approach in extracting the rules of Dawah. It concludes with a number of findings, the most important of which are: the rules of Dawah elicited from the abovementioned book are represented in that guidance and goodness are in following and evil in bad innovation. It is important to take the texts of revelations and giving them precedence over reasoning, visions, and habits so as not to neglect them. It is also important to start with the most important rules that establish an important methodological matter in Dawah. It is a major principle in the safety of Dawah from contradiction and defect, and a divine approach. It is also related to Sunna, and a rule of adherence to the congregation and their Imam, rejecting division and contradiction. This principle is necessary for the survival and continuity of society, and preachers must know what justifies and does not justify disagreement, and respect for the other opinion in issues in which there is no definitive text or definitive agreement. The status of divine scholars should be established in the hearts of people, trusting them and referring to them when problems and dilemmas arise. Finally, facing extremism and radicalization is a contemporary necessity of life.

Keywords: Rules, inference, Dawah, exposition

الكلمات المفتاحية: القواعد، المستنبطة، الدعوة، الإبانة.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾{آل عمران: ١٠٢}.وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾{النساء: ١}. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ {الأحزاب: ٧٠-٧١}. أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وخير من قام بها وحملها نبينا محمد ﷺ، وصحابته الكرام، وسار على نهجهم علماء ربانيون، وقد برز من هؤلاء في القرن الرابع الهجري الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد المعروف (بابن بطة العكبري)، فقد كان أنموذجاً للعالِم الرباني، ومن ألمع أسماء العلماء المحتسبين، قال عنه ابن الجوزي -رحمه الله-: "كان أمّارًا بالمعروف، ولم يبلغه خبرُ منكرٍ إلا غيرَّه"[(١)] وكان حريصاً على لزوم منهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله، والتمسك بسنة النبي ﷺ ومحاربة البدع، والحث على لزوم الجماعة والاجتماع والنهي عن الفرقة والاختلاف.

ولحاجة الدعاة في واقعنا المعاصر لمثل هذه القواعد التي تستنبط من أئمة علماء سخروا جل أوقاتهم في الدعوة إلى الله وفق منهج السلف الصالح؛ ومن بينهم الإمام ابن بطة-رحمه الله- من خلال كتابيه الإبانة (الكبرى والصغرى)؛ فقد عاصر أصنافاً من المدعوين، وواجه فرقاً وأحزاباً مختلفين؛ لذا فقد تنوعت وسائله، وتعددت طرقه، وسلك قواعد يستفيد منها الدعاة إلى الله؛ لذا جاء هذا البحث، بعنوان: (**القواعد المستنبطة في الدعوة إلى الله من كتابي الإبانة الكبرى والصغرى، لابن بطة العكبري**)، يسعى الباحث من خلاله إلى إبراز قواعد مستنبطة يسير عليها الدعاة، ويستفيدون منها في واقع الدعوة المعاصر.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

تبرز أهمية الموضوع وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

١/ تعدد المناهج الدعوية المخالفة لمنهج السلف فيستلزم التصدي لها وفق المنهج القويم.

٢/ بيان منهج ابن بطة –رحمه الله– ووسطيته في الدعوة إلى الله من خلال كتابيه الإبانة الكبرى والصغرى

٣/ حاجة الدعوة في الواقع المعاصر لنموذج القدوة الحسنة من سير السلف.

٤/ الاستفادة من قواعد ابن بطة – رحمه الله –في الدعوة للتعامل مع المخالفين.

٥/ تشابه ظروف عصر ابن بطة بما يحدث في عصرنا من اختلافات وتحزبات في منهج الدعوة، والاستفادة من معالجته العلمية.

٦/ عزوف بعض الدعاة عن طريقة السلف في الدعوة، وعدم اتخاذهم القدوة في ذلك، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهذه الدراسة تتعلق بطريقة أحد أولئك السلف في الاقتداء بهم في منهجهم في الدعوة إلى الله.

٧/ المكانة العلمية للإمام ابن بطة المتوفى سنة (٣٨٧هـ) عند أئمة أهل السنة والجماعة، واعتماد كثير من أهل العلم المحققين على أقواله ومروياته.

ثانياً: أهداف البحث:

١/ بيان أهمية وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من الفرقة والتحزب.

٢/ بيان قواعد الإمام ابن بطة في الدعوة إلى الله، من خلال كتابيه الإبانة الكبرى والصغرى.

٣ / الإفادة من منهج الإمام ابن بطة الدعوي في قضايا الدعوة المعاصرة.

ثالثاً: منهج البحث:

طبيعة موضوع البحث استلزمت استخدام **المنهج الاستقرائي الاستنباطي**: والذي يتم من خلاله التأمل في النصوص الشرعية والشواهد التي تتصل بموضوع البحث واستخراج القواعد والمبادئ الشرعية والقيمية والحضارية المتعلقة بموضوع البحث.

كما أن المنهج الاستنباطي: هو الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصي جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة[٢]، حيث يقوم على طريقة بحث ممنهجة يسير فيها الباحث من مقدمات ومبادئ إلى قضايا ونتائج، ويمضي البحث من المقدمات إلى النتائج على أساس ذهني منطقي، فهو يبدأ من الكليات وينتهي إلى الجزئيات. ويعد المنهج الاستنباطي هو المنهج الأساسي المستخدم في البحوث العلمية في مجالات العلوم الإنسانية، مثل: العلوم الشرعية كالفقه وأصوله والعقيدة والكلام والفلسفة والمنطق وغيرها.

فالباحث هنا من خلال المنهج الاستنباطي حدد القواعد التي استنبطها من الكتابين، ثم يقوم بشرح هذه القواعد وفق أبعادها الدعوية وربطها بالواقع الدعوي المعاصر.

رابعاً: الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة موافقة لموضوع بحثه فيما اطلع عليه من فهارس المكتبات وقواعدها، على أن فيه دراسات تطرقت لتحقيق كتاب –الإبانة الكبرى– لمجموعة من الباحثين، مثل دراسة "حمد بن عبد المحسن التويجري" حقق جزءًا في فضائل الصحابة (رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، وغيره من الباحثين، وهي دراسات تناولت تحقيق المخطوط من الناحية العلمية في الجانب العقدي. ودراسة "حمد بن راشد الكثيري" بعنوان: الأصول المنهجية للدعوة إلى الله عند ابن بطة العكبري (رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية) أسهب فيها الباحث حول منهج ابن بطة في الدعوة بشكل عام من حيث ترجمته للإمام، والوسائل والأساليب وأصناف المدعوين، وبالنظر في موضوع هذا البحث (**القواعد المستنبطة في الدعوة إلى الله من كتابي الإبانة الكبرى والصغرى للإمام ابن بطة العكبري**) نلمح الفروق والتباين بينه وبين الدراسات السابقة؛ حيث إن هذه الدراسة تتناول قواعد في الدعوة إلى الله؛ من خلال استقراء تام لكتابي الإبانة الكبرى والصغرى واستنباط هذه القواعد منهما.

خامساً: خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

- **المقدمة:** وفيها؛ أهمية البحث وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
- **التمهيد:** وفيه؛ التعريف بابن بطة وكتابيه.

المبحث الأول: قاعدة الاتباع لا الابتداع.

المبحث الثاني: قاعدة التدرج في الأهمية.

المبحث الثالث: قاعدة لزوم الجماعة وإمامهم ونبذ الفرقة والتحزب.

المبحث الرابع: قاعدة التفريق بين الاختلاف المحمود والاختلاف المذموم.

المبحث الخامس: قاعدة الحذر من دعاة الضلالة والاستماع إليهم.

المبحث السادس: قاعدة المرجعية العلمية.

المبحث السابع: قاعدة التحذير من الغلو في الدين.

- **الخاتمة: وتتضمن؛** أهم نتائج البحث وتوصياته.

- **فهرس المصادر والمراجع.**

التمهيد:

العلماء هم العالمون بشرع الله، والمتفقهون في دينه، والعاملون بعلمهم على هدىً وبصيرة، على سنة رسول الله ﷺ، ومنهج سلف الأمة، والعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء هم دعاة الله، فأجدر من يتصدر الدعوة إلى الله بعد الأنبياء هم العلماء؛ لأنهم ورثتهم، وقد أُمرنا بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام ومن معه في موقفهم من كفار قومهم، وبغضهم إياهم، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا ﴾{الممتحنة:٤}، وقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالاقتداء بهدي من سبقه من الأنبياء عليهم السلام، فقال: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾{الأنعام:٩٠}.

إن الدعاة في العصر الحاضر يستفيدون من تجارب من سبقهم في الدعوة، التي ما تزال بعض آثارها موجودة إلى الآن، ومن هؤلاء العلماء الدعاة الناصحين السائرين على منهج السلف؛ الإمام العالم الجليل أبو عبدالله ابن بطة، الذي يعدُّ من أئمة المدرسة السلفية، فمسيرته في الدعوة إلى الله منهجٌ يحتذى به، وأنموذجٌ عمليٌّ يُتأسى به، وصورة ناجحة للداعية، حيث سخر عمره كله في إقامة شرع الله، والذود عن سنة رسول الله ﷺ، وإحياء منهج السلف الصالح ونشر عقيدتهم، وتبصير المسلمين بدينهم، ومحاربة البدع والخرافات.

وهنا نستعرض بإيجاز ترجمة الإمام ابن بطة – رحمه الله –، والتعريف بكتابيه؛ من خلال ما يأتي:

أولاً: ترجمة موجزة عن الإمام ابن بطة العكبري – رحمه الله –:

- **اسمه ونسبه:**

هو الإمام عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة بن فرقد[٣] وينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل صاحب رسول الله ﷺ عتبة بن فرقد رضي الله عنه، وشهد عتبة رضي الله عنه خيبر مع رسول الله ﷺ، وكان أميراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على بعض فتوح العراق[٤].

- **كنيته وشهرته ولقبه:**

أجمعت التراجم ومن روى عنه على كنيته بأبي عبد الله العكبري[٥]، واشتهر بابن بَطة نسبة لأحد أجداده، كما يظهر من ترجمة السمعاني، وابن الأثير–رحمهما الله– في كتابهما؛ عند حديثهما لنسب

(البَطّي) فقالا: "البَطّي: بفتح الباء الموحدة والطاء المشددة المكسورة، هذه النسبة إلى البطة، وهو لقب لبعض أجداد المنتسب إليه، وإلى بيع البط، فأما الأول فهو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطة العكبري البطي، من أهل عكبرا"(٦)

وقد نص ابن أبي يعلى في طبقاته، في ذكر نسب الإمام ابن بطة –رحمه الله–بعد اسم جده الثاني (حمدان) اسم (عمر)، ولم يذكر اسم (بطة)، وأما أغلب أهل التراجم –خصوصاً من كان قريباً من عصره، كالخطيب البغدادي، وابن ماكولا، وابن أبي يعلى، وابن عساكر، وابن الجوزي، يذكرون نسبه، ثم يصفونه بأنه المعروف (بابن بطة)، دون أن يدخلوا اسم (بطة) في عداد أجداده.(٧)

ويظهر أن (بطة) لقب لجد الإمام ابن بطة الثالث وهو: (عمر) الذي نص عليه ابن أبي يعلى –رحمه الله– في طبقاته؛ حين ساق نسبه بعد جده الثاني (حمدان). والله أعلم.

وقد تشتبه كنية الإمام ابن بَطة، بابن بُطة الأصبهاني، وقد نبّه على ذلك ابن الجوزي –رحمه الله– في ترجمته، فقال: "وربما اشتبه بابن بطة العكبري، فيقال: أبو عبدالله بن بُطة، وأبو عبدالله ابن بَطة، والفرق إذا لم يذكر الاسم ضم الباء في حق الأصبهاني، وفتحها في حق العكبري".(٨)

وكذلك الذهبي ذكر فرقاً دقيقاً عند ترجمة لأحد أعلام الشيعة، يفرق فيه بينه وبين كنية ابن بَطة العكبري، فقال في ترجمة: محمد بن علي بن شهراشوب بن أبي نصر، أبو جعفر السروري المازندراني رشيد الدين الشيعي "حدثني أبي قال: ما زال أصحابنا بحلب لا يعرفون الفرق بين ابن بطة –بالضم– الشيعي من ابن بطة الحنبلي، حتى قدم الرشيد فقال: ابن بطة الحنبلي بالفتح، والشيعي بضمها".(٩)

ونص ابن كثير –رحمه الله– على ذاك التفريق، وهو يترجم لـ "محمد بن أحمد بن بُطة بن إسحاق الأصبهاني، أبو عبد الله، سكن نيسابور ثم عاد إلى أصبهان، وليس هذا بأبي عبد الله ابن بَطة العكبري"(١٠) وكثيراً ما يصفه العلماء المحققون، والمترجمون له بلقب (الإمام)، فقال عنه ابن الأثير–رحمه الله–: ابن بطة "الإمام المصنف الحنبلي"(١١)

وكما يصفه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عندما يحيل عليه في كتبه بهذا اللقب، فيقول –على سبيل المثال لا الحصر–: "فهذه الآثار ونحوها مما اعتمد عليها المشهورون بالسنة كالمروذي والخلال وغيرهما، وكذلك الإمام أبو عبد الله ابن بطة يعتمد في كتابه (الإبانة الكبير)". (١٢)

- **مولده ونشأته:**

الإمام ابن بطة –رحمه الله– من علماء القرن الرابع الهجري، ولد يوم الاثنين الرابع من شهر شوال سنة أربع وثلاثمائة من الهجرة النبوية في عكبرا ، كما نص على ذلك ابن الجوزي –رحمه الله– فقال: "ولد يوم الاثنين لأربع خلون من شوال سنة أربع وثلاثمائة". (١٣)

ويظهر من ترجمة ابن بطة –رحمه الله– أنه نشأ في بيت علم وسُنة، فأبوه كان يحب العلم والعلماء، فاعتنى به وهو صغير؛ حيث أرسله إلى بغداد ليسمع الحديث، قال الشيخ ابن بطة –رحمه الله– عن نفسه: "ولدتُ في شوال سنة أربع وثلاثمائة، وكان لأبي ببغداد شركاء، وفيهم رجل يعرف بأبي بكر، فقال لأبي: ابعث ابنك إلى بغداد ليسمع الحديث فقال: ابني صغير، فقال أنا أحمله معي فحملني إلى بغداد، فجئت إلى ابن منيع وهو يقرأ عليه الحديث، فقال لي بعضهم: سل الشيخ أن يخرج إليك معجمه، فسألت ابنه، فقال: نريد دراهم كثيرة، فقلت: لأمي طاق ملحم آخذه منها وأبيعه، قال: ثم قرأنا عليه المعجم في نفر خاص في نحو عشرة أيام، وذلك في آخر سنة خمس عشرة وأول سنة ست عشرة". (١٤)

ويتبين من رحلته أنه بدأ مشواره العلمي–رحمه الله– وهو غلام له من العمر أحد عشر عاماً –ولد سنة (٣٠٤هـ)– واستمر في رحلته لطلب العلم، وسافر من بلد إلى بلد؛ ليتلقى العلم من الأئمة والعلماء مباشرة في عصره، كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي، وابن أبي يعلى في طبقاته على ترجمته عن سماعه من الكثير من العلماء، بخاصة في طلب الحديث، فيقولان: إنه سافر كثيرًا إلى مكة والثغور والبصرة وغير ذلك من البلاد في طلب الحديث.(١٥)

ويؤكد ابن الجوزي على ذلك، فيذكر أنه: سمع لكثير من الخلائق، وسافر طويلاً في طلب العلم.(١٦)

ولما عاد إلى بلده من رحلاته المتكررة لازم بيته أربعين سنة، وآثر العزلة؛ لكثرة الفتن في زمانه، وابتعاده عن تولي شيء من ولاية السلطان، أو من مظلمته، ولا يعني ملازمته لبيته انقطاعه التام عن الناس، بل كان أمّاراً بالمعروف، ولم يبلغه خبرُ منكرٍ إلا غيَّره، وله مجالس يعقدها للتدريس، ومقابلة الناس. (١٧)

ولا غرو أن تكون حياة ابن بطة –رحمه الله– بعد هذه النشأة لها الأثر الكبير على حياته، وفي بناء شخصيته من الناحية العلمية، فله تصانيف مفيدة، نهل منها وورثها أكابر العلماء، قال ابن كثير: "وله الكتب والتصانيف الكثيرة الحافلة في فنون من العلم".(١٨)

ومن الناحية العملية فثمرة علمه باديةٌ عليه، كما شهد له العلماء، ومن ترجم عنه، فكان إمامًا صالحًا عابدًا زاهدًا قدوةً في الفكر، والسلوك، والمظهر، قال عنه الذهبي: "وكان ابن بطة من كبار الأئمة ذا زُهد، وفقه، وسنة، واتباع"(١٩).

وقال في موضع آخر في كتابه السير: "ابن بطة الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق"(٢٠)، وجمع ابن بطة بين العلم والعمل، قال عنه ابن الجوزي: "وكان له الحظ الوافر من العلم والعبادة"(٢١)، ويروي عنه تلميذه العتيقي أنه: "كان شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة". (٢٢)

ويروي كذلك عنه تلميذه ابن شهاب، أنه سمع شيخه أبا عبدالله ابن بطة يقول: "أستعمل عند منامي أربعين حديثاً رويت عن رسول ﷺ"(٢٣)، وقال عبد الواحد العكبري: "لم أرَ في شيوخ أصحاب الحديث ولا في غيرهم أحسن هيئة من ابن بطة"(٢٤).

- **آثاره العلمية:**

عمل الإمام ابن بطة –رحمه الله– في حياته ما يدوَّن له بعد موته، فورّث علماً نافعاً ممتداً لم ينقطع عبر العصور إلى عصرنا اليوم، فما زال ذكره حاضراً عند أهل العلم وطلبتهم عند رجوعهم لتراثه، فتصانيفه تُعد مصدراً أساسًا من كتب السنة والعقيدة السلفية، وما أحسن ما قال ابن الجوزي عن تحصيل الإنسان بشيء لذريته تذكر الله بعده فيها، فيكون الأجر له، كوقف يوقفه، أو غرس يغرسه، فيقول: "أو أن يصنف كتابًا في العلم؛ فإن تصنيف العالم ولده المخلد"(٢٥)، فنحسبه لم يمت من هذه الناحية، فما زال الباحثون يحرصون للنهل من علمه وآرائه وأقواله؛ من خلال تصانيفه لنشرها بين الناس.

وقد شهد للإمام ابن بطة وأثنى عليه العلماء الأكابر بأثره ونتاجه العلمي، يقول ابن ماكولا: "أبو عبدالله العكبري، الفقيه الحنبلي، أحد الزهاد، كتب الكثير وصنَّف". (٢٦)

ويقول السمعاني: "كان من فقهاء الحنابلة، صنَّف التصانيف الحسنة المفيدة". (٢٧)

وقال عنه ابن كثير: " أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة، أحد علماء الحنابلة، وله الكتب والتصانيف الكثيرة الحافلة في فنون من العلم". (٢٨)

ذكر ابن أبي يعلى أن مصنفات ابن بطة –رحمه الله– قد تزيد على مائة مصنف، وعدّ من مصنفاته تسعة عشر مصنفاً، وهي: (الإبانة الكبرى)، (الإبانة الصغرى)، (السنن)، (المناسك)، (الإمام ضامن)، (الإنكار على من قصر بكتب الصحف الأولى)، (الإنكار على من أخذ القرآن من الصحف)، (النهي عن صلاة النافلة بعد العصر وبعد الفجر)، (تحريم النميمة)، (صلاة الجماعة)، (منع الخروج بعد الأذان والإقامة لغير حاجة)، (إيجاب الصداق بالخلوة)، (فضل المؤمن)، (الرد على من قال الطلاق بالثلاث لا يقع)، (صلاة النافلة في شهر رمضان بعد المكتوبة)، (ذم البخل)، (تحريم الخمر)، (ذم الغناء والاستماع إليه)، (التفرد والعزلة).(٢٩)

وفيه كتب أخرى ذكرها بعض المحققين لمخطوطات ابن بطة، كـ (إبطال الحيل) و(أحكام النساء) و(تحريم النبيذ) و(الحمام) و(جواز اتخاذ الساقية في رحبة المسجد) و(الطرقات) و(مسألة فسخ الحج إلى العمرة). (٣٠)

ويظهر من ترجمة الإمام ابن بطة أنه في زمنه كان من كبار علماء الحنابلة، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل من الجانب الفقهي، كما وصفه ابن الأثير: "الإمام المصنف الحنبلي"(٣١).

وكقول ابن ماكولا: "أبو عبدالله العكبري، الفقيه الحنبلي، أحد الزهاد، كتب الكثير وصنَّف". (٣٢)

وكان السبب في تفقه ابن بطة على المذهب الحنبلي أن موطن الإمام أحمد كان في بغداد العراق، وبلدة ابن بطة عكبرا، وهي لا تبعد عن بغداد سوى عشرة فراسخ – والله أعلم –.

ويتضح من بعض عناوين كتب ابن بطة وأسمائها أنها فقهية، ويدل لذلك الاختيارات الفقهية التي يتناقلها عنه الفقهاء في الكثير من مصنفاتهم، كابن قدامة الحنبلي–رحمه الله– عند تقسيمه في كتابه المغني، فيقول: (كتاب عشرة النساء والخلع) فصل: وله منعها من الخروج، ثم يسوق روايات أو اختيارات ابن بطة، فيقول: وقد روى ابن بطة في أحكام النساء.(٣٣)

وكنقل ابن القيم عنه في اختياره بالتقليد للفتوى، فيقول: "أن ذلك يجوز فيما يتعلق بنفسه، فيجوز له أن يقلد غيره من العلماء إذا كانت الفتوى لنفسه، ولا يجوز أن يقلد العالم فيما يفتي به غيره، وهذا قول ابن بطة وغيره".(٣٤)

وكذا ابن رجب الحنبلي كثيراً ما ينقل اختيارات ابن بطة الفقهية، كنقله عن وجوب التستر في الغسل، فيقول: "وظاهر كلام ابن بطة من أصحابنا يدل على وجوب التستر في الغسل في الخلوة، فإن لم يجد ما يتستر به، وَجب أن يَتضام ما استطاع". (٣٥)

وهذه المصنفات والنقولات عن الإمام ابن بطة تدل على سعة عِلمه، وغزارة نتَاجه العلمي، قيض الله من يحقق باقي تلك المخطوطات له ويخرج تراثه العلمي للأمة.

- **شيوخه:**

بدأ الإمام ابن بطة –رحمه الله– حياته العلمية وهو فتًى يافع ينتقل في كثير من الأمصـــار؛ لأخذ العلم عن كبار الأئمة والعلماء في زمانه، فالتقى بالكثير وسمع منهم، وألمّ خلال ذلك بكثير من العلوم، ومن مشايخه الذين تلقى وتتلمذ عليهم، كما ذكرت كتب التراجم: (عبد الله بن محمد البغوي)، (ابن صاعد)، (إسماعيل الوراق)، (أبو بكر النيسابوري)، (الحسن البربهاري)، (أحمد بن نصر)، (ابن الباغندي)، (جعفر القافلائي)، (أبو بكر الآجري)، (عبدالعزيز الخلال).

- **تلاميذه:**

تتلمذ على الإمام ابن بطة –رحمه الله– خلق كثير، منهم: (أبو حفص العكبري)، (العتيقي)، (أبو حفص البرمكي)، (ابن أبي الفوارس)، (أبو علي بن شهاب)، (أبو إسحاق البرمكي)، (عبدالواحد العكبري).

- **وفاته:**

توفي الإمام ابن بطة –رحمه الله– في يوم عاشوراء شهر الله المحرم سنة ٣٨٧هـ، ودفن بعكبرا. وقد رثاه تلميذه ابن شهاب فقال:

هيهات ليس إلى السلو سبيل ... فليكتنفك تفجع وعويل
موت ابن بطة ثلمة لا يرتجى ... لمسدها شكل له وعديل
فمضى فقيدًا ما له خلف ولا ... منه وإن طال الزمان بديل[٣٦]

ثانياً: التعريف بكتابي الإبانة الكبرى والصغرى:–

(كتاب الإبانة الكبرى): واسمه كاملاً (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة)

إن غالب من ترجم للإمام ابن بطة ذكر اسم مُؤَلَّفه مختصراً، فيطلقون عليه اسم "الإبانة" وممن اطلق عليه الاسم المختصر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في نقلهما عنه، وأحياناً يذكر باسم "الإبانة الكبرى" أو "الإبانة الكبيرة" تميزاً له عن "الإبانة الصغرى"، وممن اطلق عليه هذا الاسم كذلك؛ القاضي أبو يعلى في كتابه"مسائل الإيمان" والذهبي في كتابيه "تاريخ الإسلام"و"السير".

وأما اسم الكتاب كاملاً فقد جاء مدوناً في بداية كل جزء من أجزائه التي تم العثور عليها؛ وهي ستة عشر جزءاً، وكذلك جاء هذا الاسم كاملاً في مختصر الإبانة –مخطوط– وهذه النسخة مكتوبة في سنة ٧١٩هـ على يد عماد الدين أحمد بن أبي بكر الشافعي، ومالكها: أحمد بن أبي بكر الحنفي.

ومما يحسن التنبيه عليه أن إطلاق مسمى "الإبانة" قد ورد عنواناً لمؤلفات عدة، وفي مواضيع مختلفة.

- نسبته لمؤلفه: مما يزيد هذه النسبة يقيناً لمؤلفه أمور منها:

١/ السند المتصل إلى المؤلف المدونة بداية كل جزء من أجزاء الكتاب.
٢/ السماعات الكثيرة في نهاية كل جزء، حيث تصل أحياناً لأكثر من ثمان سماعات.
٣/ نقل الأئمة عنه، سواءً المتقدمين منهم أو المتأخرين، مع تصريحهم باسم الكتاب.

٤/ غالب من ترجموا له يربطون بين اسمه وبين مؤلفه، بل أحياناً يجعلون كتابه زيادة في التعريف به؛ فيقولون: ابن بطة صاحب الإبانة.

٥/ النسخة المختصرة؛ حيث نص مختصِرها على نسبة الكتاب لمؤلفه، والتي نسخت في أوائل القرن الثامن.

– موضوع الكتاب: عموماً يتركز على تأصيل عقيدة أهل السنة والجماعة في مسائل أصول الدين، والرد على أهل الأهواء والبدع، وقد قسم الإمام ابن بطة كتابه إلى أجزاء متعددة؛ فالقسم الأول يتعلق بمسائل الإيمان والرد على المرجئه وهو عدة أجزاء، والقسم الثاني متعلق بالقدر، والقسم الثالث وهو عدة أجزاء يتعلق بالرد على الجهمية، والقسم الثالث وهو من أجزاء الكتاب الأخيرة فهو يتعلق بموضوع الصحابة والرد على الرافضة والخوارج، ولا يزال أجزاء مفقودة من هذا الكتاب تتعلق ببقية موضوع الصحابة ومسائل الأيمان.(٣٧)

وقد شارك في تحقيق بعض أقسام الكتاب مجموعة من المحققيين؛ هم:

د. رضا بن نعسان معطي، حقق القسم الأول المتعلق بمسائل الإيمان.

د. عثمان بن عبدالله آدم الأثيوبي، حقق القسم الثاني المتعلق بالقدر.

د. يوسف بن عبدالله الوابل، حقق القسم المتعلق بالرد على الجهمية.

د.حمد بن عبدالمحسن التويجري، حقق القسم المتعلق بفضائل الصحابة.

(**كتاب الإبانة الصغرى**):"واسمه كاملاً (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين) وهو من كتب أهل السنة المختصرة في أبواب السنة والاعتقاد والعبادات والآداب.

وهو معروف عند كثير من أهل العلم بكتاب (الإبانة الصغرى) تمييزاً بينه وبين كتابه الآخر (الإبانة الكبرى)

– سبب التأليف: بين ابن بطة سبب تأليفه هذا الكتاب؛ أنه لما رأى بُعد الناس في وقته عن السنة والاستمساك بها وانشار البدع واستحسانها، واتخاذهم للجهال والمضلين أرباباً وأئمة في الدين، حداه ذلك بأن يصنف لهم كتاباً مختصراً يذكرهم فيه بالسنة والاستمساك بها وما كان عليه سلف الأمة وعلماء الأثر، ويحذرهم فيه من البدعة والأهواء المضلة.

– تقسيمات الكتاب: قسم المصنف كتابه إلى أربعة اقسام:

القسم الأول/ سرد فيه الأحاديث النبوية، والآثار السلفية الآمرة بلزوم الجماعة، ومباينة أهل الزيغ والتفرق والشناعة.

القسم الثاني/ ذكر فيها اعتقاد أهل السنة والجماعة مما أجمع عليه علماء الأمة مما لا يسع المسلمين جهله، ولا يعذر الله تبارك اسمه من أضاعه.

القسم الثالث/ ذكر فيه كثيراً من الواجبات، والسنن، والأخلاق، والآداب مما تكثر الحاجة إليها في أبواب متفرقة من أبواب الفقه

القسم الرابع/ ذكر فيه كثيراً من البدع التي أحدثها الناس في وقته مما لا أصل لها في كتاب الله، ولا جاء فيها أثر عن السلف الصالح.

وقد سلك ابن بطة في هذا الكتاب مسلك الاختصار وحذف الأسانيد، كما قال: (طلباً للاختصار، وعدولاً عن الإطالة والإكثار ليسهل على من قرأه، ولا يمل من استمع إليه ووعاه)"[38]

المبحث الأول: قاعدة الاتباع لا الابتداع

أولى هذه القواعد للدعوة عند الإمام ابن بطة – رحمه الله – في كتابه الإبانة؛ الاتباع لا الابتداع، فقد أكمل الله سبحانه لهذه الأمة دينها، وأتم عليها نعمته، ولم يتوفَّ نبيه ﷺ إلا بعد ما بلّغَ البلاغ المبين، وبيّن للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوالٍ وأعمالٍ، فكل ما يُحدثه الناس بعده، وينسبونه إلى الدين من أقوالٍ وأعمالٍ، فكله بدعةٌ مردودةٌ على من أحدثها، فلا حاجة بعد ذلك لإدخال شيء في الدين من الأقوال أو الأعمال إلا إن كان عليها دليل من الكتاب وصحيح السنة، فكل العبادات في الدين إذن طريق معرفتها إثبات الشارع لها، وما لم يثبته فلا يجوز إدخاله، كما أشار إلى ذلك ابن بطة في عدة مواضع، كقوله –رحمه الله–: "جعلنا الله وإياكم ممَّن سبقت له الحسنى، فعُصمَ من متابعة الهوى وموافقة أَهل الزَّيغ والرَّدى، ووفقنا وإياكم لاتِّباع الكتاب والسُّنة اللذينِ الدِّينُ فيهما مشروعٌ، والحُكمُ فيهما مجموعٌ، وخير العاجلة والآجلة فيهما موضوعٌ، قد قُطِعَ بهما عذرُ كل معتلٍّ وسُدَّ بهما فاقةُ كُلِّ محتلٍّ ليهلِك من هلكَ عن بيّنةٍ ويحيا من حيَّ عن بيّنةٍ وإن الله لسميعٌ عليم"[39]؛ وقد أورد ابن بطة مئات النصوص والآثار التي تحث على الاتباع والاقتداء وترك الابتداع، كقول النبي ﷺ: **(مَنْ فَعَلَ فِي أَمْرِنَا مَا لَا يَجُوزُ فَهُوَ رَدٌّ)** وفي رواية: **(مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)**[40]، وقوله ﷺ: **(عَلَيْكُم بسُنَّتِي وَسُنةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين المهديين وعَضُوا عَلَيْها بالنَّواجِذ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)**[41]، ومن الآثار كقول ابن عباس ﷺ: "ما يَأتي على النَّاس عامٌ إِلَّا أَحدَثُوا فيه بدعَةً، وأَمَاتُوا فيه سُنَّةً، حتَّى تَحيَا البدعُ، وتَمُوتَ السُّنَنُ"[42]، وقول ابن مسعود ﷺ: "اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم"[43].

ومن مجموع تلك النصوص والآثار التي ساقها ابن بطة يؤخذ منها أن على الدعاة أن يعلموا أن الهدي كل الهدي والخير كل الخير في الاتباع والشر في الابتداع، وأن يعتنوا بالأخذ بنصوص الوحيين وتقديمها على العقل والرؤى والمكاشفات والعادات، وعدم إهمالها في دعوتهم إلى الله، والتزام منهج السلف الصالح الذين التزموا خير التزام بهدي رسول الله ﷺ، وطبقوا الشريعة خير تطبيق، ومن اهتدى بذلك فهو المهتدي، ومن انتصر بها فهو المنصور، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة ﷺ، فلا ينتصرُ لشخصٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا لرسول الله ﷺ، ولا لطائفةٍ انتصارًا مطلقًا عامًا، إلا للصحابة ﷺ، فإن الهُدى يدور مع الرسول حيثُ دار، ويدورُ مع أَصحابه دون أَصحاب غيره حيثُ دارُوا"(٤٤).

ولا غرو أن يتحدث الإمام ابن بطة كثيرًا في كتابيه الإبانة الكبرى والصغرى بخطاب مملوء بإشارات وتصريحات بالحث على الاتباع، والتحذير من البدعة والوقوع فيها، ومجانبة أصحابها، وكأنه –رحمه الله– يخاطب دعاة اليوم والمستقبل، بأن يحذروا من مخالفة المنهج الصحيح، والسبيل الأقوم في دعوتهم إلى الله؛ لأنهم هم منارات الهدى وصمامُ أمانٍ للمجتمعات، وبهم يعبد الله على بصيرة، وبهم تكشف الشبهة، فيدلّون الناس على منهاج الله المستقيم، ويحذرونهم من سلوك منهج غيره، يقول ابن بطة في خطابه: "قد أَتينا يا أَخي رحمكَ اللهُ ونفعنا وإياك بالعلم، واستعمَلنا به، ووفَّقنا للسُّنة وأَماتنا عليها، بجُملٍ من أَقاويل العلماء، وأَخبار المصطفى ﷺ في التحذير والتخويف، والإعذار والإنذار من الوقوع في البدعة، وما أُمروا به من التَّمسُّك بالسُّنة، والتَّحفظِ لها، والإقبال عليها، ومُجانبة من خالفها، ومُباينة من خرج عنها بما اتَّجه لنا رسمُه.."(٤٥).

ويقول في موضع آخر: "الزموا رحمكمُ اللهُ الطَّريقَ الأَقصد، والسَّبيلَ الأَرشد، والمنهاجَ الأَعظمَ من معالم دينكُم، وشرائع توحيدكمُ التي اجتمع عليها المختلفون، واعتدل عليها المعترفون، :﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾{الأنعام:١٥٣}"(٤٦).

كل داعية يتمنى أن تكون دعوته خالصةً لله، وعلى بصيرة وحكمة ويقين ومعرفة يُميّز بها بين الحق والباطل، كل ذلك لا يتحقق إلا باتباع طريقة دعوة رسول الله ﷺ ومسلَكه وسنَّته(٤٧)، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾{يوسف:١٠٨}، يشير ابن بطة إلى أن الله تعالى: "دلَّنا على طريق محبَّته، وأَرشدنا إلى

سبيل هدايته بأقصد المذاهب، وأقرب المسالِك حين أعلمنا أن محبةَ الله هي في مُتابعة نبيّه ﷺ حين قال: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ {آل عمران: ٣١}، فمن اتَّبع رسولهُ في سُنَّته أورثهُ ذلك محبةَ الله بكسبه البصيرة في إيمانه فيما أحكمهُ في قلبه ولسانه"(٤٨).

إذن فالدعاة مطالبون بالاتباع والاهتداء بالكتاب والسنة، وترك الإحداث في الدين والتحذير من البدعة؛ لكمال الدين، وتمام السنة، وسير الصحابة ﷺ على ما أراد صاحب السنة ﷺ، فأقاموا الدين علمًا وعملًا، وكفّوا من بعدهم، فوجب السير حيث ساروا.

المبحث الثاني: قاعدة التدرج في الأهمية.

أولى الإسلام تنظيم حياة الإنسان أهمية كبيرة، فالناظر في أركان الشريعة وأحكامها يجد أنها على مراتب، فيها الأعلى والأدنى، والقطعي والظني والفاضل والمفضول، ثم إن المقاصد التي تقوم عليها التكاليف الشرعية درجات كذلك، فيها الضروري وغير الضروري، والأصل والمكمل، والخاص والعام وهكذا، فعلى المسلم أن يكون على علمٍ بهذه المراتب ويحترمها، يضع كل عمل في مرتبته ويعطيه وزنه وقيمته التي أعطاها الشرع له، وكل جهل بمراتب هذه الأعمال، يؤدي إلى اختلال توازنها عند تطبيقها واضطراب سُلّم أولوياتها، فمثلًا أركان الإسلام الخمسة كلها واجبة وهامة إلا أن بعضها أهم من بعض، وإلى ذلك يشير الإمام الشاطبي- رحمه الله-: "أركان الدِّين متفاوتةٌ في الترتيب، فليس الإخلال بالشهادتين كالإخلال بالصلاة، ولا الإخلالُ بالصلاة كالإخلال بالزكاة، ولا الإخلال بالزكاة كالإخلال برمضان، وكذلك سائرها مع الإخلال، فكلٌ منها كبيرةٌ".(٤٩)

والبدء بالأهم فالأهم من القواعد التي تؤصّل أمرًا منهجيًا مهمًا في الدعوة إلى الله، وهو مبدأ رئيس في سلامة الداعية في دعوته من التناقض والخلل، وهذا منهج رباني وسنة شرعية سلكه الله في تشريعه، فالقرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، وإنما نزل منجمًا، يتدرج في الرقي بالمجتمع وفي اقتلاع الفساد الاجتماعي المتجذر شيئًا فشيئًا، فبدأ بأحكام العقيدة قبل أحكام الشريعة، ففي العقيدة بدأ بالإيمان بالله قبل الإيمان بالأركان الأخرى، وفي العبادات بدأ بالصلاة قبل غيرها، تقول عائشة -رضي الله عنها-: "إنما نزلَ أَولَ ما نزلَ منه -أي القرآن- سورةٌ من المُفَصل، فيها ذكرُ الجنة والنار، حتى إذا ثَابَ الناس إلى الإسلام نزلَ الحلالُ والحرامُ، ولو نزلَ أَولَ شيءٍ: لا تشربُوا الخَمر، لقالوا: لا نَدعُ الخَمرَ أَبدًا، ولو نزلَ: لا تَزنُوا، لقَالُوا: لا نَدعُ الزنَا أَبدًا.."(٥٠).

والمتتبع لآيات كتاب الله يجد البدء بالأهم فالأهم، ففي قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قُدّمت على قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾{الفاتحة:٥}؛ لأن العبادة لهُ هي المقصودة، والاستعانةُ وسيلةٌ إليها، والاهتمامُ والحزمُ هو أن يُقدّم ما هو الأهمَّ فالأهمّ(٥١).

وقد مضى أنبياء الله ورسله عليهم السلام في منهج دعوتهم على هذه القاعدة، حيث كانوا يبدؤون دعوتهم بتقرير التوحيد وقضايا الاعتقاد حتى يستقر في قلوب المدعوين، ثم يأتي بعده تقرير بقية مسائل التشريع، قال الله عن دعوة نوح عليه السلام لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾{الأعراف:٥٩}، وقال سبحانه عن دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾{العنكبوت:١٦}، وقال الله عن دعوة هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾{هود:٥٠}.

وهذا منهج نبينا محمد ﷺ فقد كان اهتمامه في مكة على مدار ثلاث عشرة سنة منصبٌّ على تقرير مسائل التوحيد، ثم بعد الهجرة إلى المدينة بدأ في تقرير بقية مسائل الشرائع المحمدية(٥٢)

وقد سار العلماء على هذا المنهج في دعوتهم علمًا وعملًا، ومنهم الإمام ابن بطة، حيث نجد أن فقه الأولويات ظاهر في أصول منهج دعوته، فهو يبدأ بأصول الدين وأسسه، ثم يتدرج بالأهم فالأهم، فكان ينصّ في بداية دعوته على الإيمان بالله وتوحيده، فيقول –رحمه الله–: "فأولُ ما نبدأُ بذكرِهِ من ذلك: ذكرُ ما افترضَ اللهُ على عباده، وبعثَ به رسولهُ ﷺ، وأنزلَ فيه كتابه، وهو الإيمانُ باللهِ عز وجل؛ ومعناهُ: التصديقُ بما قالهُ، وأمرَ به، وافترضَهُ، ونهى عنهُ، من كلِّ ما جاءت به الرسلُ من عنده، ونزلت فيهِ الكتب، وبذلكَ أَرسلَ المرسلين"(٥٣).

ويقول في موضع آخر: "دين اللهِ الذي بعثَ بهِ نبيهُ ﷺ هو الإيمانُ، والإيمانُ هو الإسلام، وبهِ أُرسلَ المرسلُونَ قبلهُ، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾{الأنبياء:٢٥}. وهو الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيينَ، والتصديقُ والإقرارُ بما جاءَ من الله، والتسليمُ لقضائه وحُكمه والرضَا بقدره، وهذا هو الإيمان، ومن كان كذلك فقد استكملَ الإيمان، ومن كان مُؤمنًا حَرَّمَ اللهُ مالَهُ ودمهُ، ووجَبَ لهُ ما يجبُ على المسلمين من الأَحكام، ولكن لا يَستوجِبُ ثوابه، ولا يَنالُ الكرامةَ إلا بالعمل فيه، واستِيجادُ ثواب الإيمانِ عملٌ به، والعملُ به اتباعُ طاعة

الله في أداءِ الفرائض واجتناب المحارم، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصوم رمضان.." [٥٤]. ويدل كذلك على تطبيقه قاعدة البدء بالأهم إلى ما يليها أهميةً تبويبه: (باب معرفة الإيمان، وكيف نزل به القرآن وترتيب الفرائض)، وتبويبه: (باب معرفة الإسلام وعلى كم بُنِيَ)، ويستشهد على هذا المنهج بحديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَى خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيتِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ)**.[٥٥]

يعلق الإمام محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– على الحديث قائلًا: "مُثّلَ الإسلام ببناءٍ أُقيم على خمسة أعمدة لا يستقيم إلا بها، وقدّم الأهم فالأهم، فبدأ بقطبها شهادة أن لا إله إلا الله، ثم ثنى بشهادة أن محمدًا رسول الله، ثم قال: وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.."[٥٦].

إن من فقه الدعوة تطبيق هذه القاعدة؛ إذ تمنح الداعية بصيرةً في دعوته، وتوفيقًا في تصرفاته، وحفظًا عليه في أوقاته وطاقته، وتعطيه رؤية واضحة في منهج دعوته إلى الله، من أين يبدأ؟ ومتى يبدأ؟، يقول الشيخ العلّامة ابن عثيمين –رحمه الله–: "إن أول ما يُدعى إليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، وذلك قبل كل شيء، لا تقل للكفار مثلاً إذا أتيت لتدعوهم: اتركوا الخمر اتركوا الزنا، اتركوا الربا، هذا غلط، أصّلِ الأصل أولاً، ثم فرع الفروع، فأول ما تدعو: أن تدعو إلى التوحيد والرسالة، أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم بعد ذلك عليك ببقية أركان الدين الأهم فالأهم"[٥٧]، ويضرب الإمام ابن باز –رحمه الله– مثالًا في ذلك، فيقول: "مثل إنسان لا يصلي وهو عاقٌ لوالديه، أو متهمٌ بالخمر، أو بشيءٍ آخر من المعاصي، فعلى الناصح أن يبدأ بالصلاة ويوضح له عظم مكانتها وأن تركها كفرٌ، فإذا صلّى أنكر عليه الناصح المنكرات الأخرى إذا رأى المصلحة في ذلك، وإن رأى أن إنكار الجميع عليه لا يؤثر في المقصود ورجا أن يهديه الله في الجميع فلا بأس بذلك"[٥٨].

إن تقرير هذه القاعدة في منهج الدعاة لا يعني ألا يخبر الناس بالحلال والحرام، أو عدم مراعاة فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، وإنما المقصود أن يبدأ الداعية بالأهم فالأهم كتقديم الإيمان في مقام الدعوة على التحريم والتحليل ونحو ذلك، فينبغي للداعية الحكمة عند تعارض المصلحة والمفسدة، أو تعذّر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة، حينئذ يبدأُ الداعية بالأهم، ويوضح الإمام ابن القيم –رحمه الله– على ذلك بمثال يفيد المعنى: "كما إذا كان الرجلُ مُشتغلًا بكتب المُجون ونحوها، وخفتَ من نقله عنها انتقالهُ إلى كتب البدع والضَّلال والسحر؛ فدعْهُ وكُتبَهُ الأُولى"[٥٩].

يستنتج مما سبق أن البدء بالأهم فالأهم في الدعوة إلى الله منهج نبوي سلكه النبي ﷺ وجميع الأنبياء في دعوتهم، وسار على منهجهم السلف الصالح، وتأسى بهم الإمام ابن بطة في أصول منهجه في الدعوة إلى

الله، وهكذا الدعاة عليهم أن يسلكوا منهج من سبقهم من الأنبياء والسلف وأئمة المسلمين، وأن يقتفوا أثرهم، بادئين بالأهم فالأهم في دعوتهم، فليس من الحكمة أن ندعو مجتمعًا إلى التخلُّق بشيءٍ من القيم، وهم يطوفون لغير الله كالطواف على القبور، أو يذبحون لغير الله، أو ندعوهم إلى ترك المكروهات قبل المحرمات، فترك تطبيق هذه القاعدة –البدء بالأهم فالأهم– قد يعكس أثرًا سلبيًا على الدعوة، مع التنبيه أنه لا مانع من البدء في بعض الأوقات بغير الأهم إذا لم يتيسر الحديث في الأهم، ورأى الداعية أن المصلحة ترك ذلك أحيانًا.

المبحث الثالث: قاعدة لزوم الجماعة وإمامهم، ونبذ الفرقة والتحزب

من أعظم مقاصد أصول الإسلام الدعوة إلى الاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف، وقد دلّت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، التي تحث وتؤكد على أهمية هذا الأصل وضرورته للمجتمع في بقائه واستمراره، وكان من أصول منهج الإمام ابن بطة الحث عليه والتمسك به، فقد أصّل هذا الأصل لتحقيقه وترسيخه في نفوس المدعوين، بل هو أحد الأسباب التي جعلته يؤلف كتابيه الإبانة الكبرى والصغرى، كما قال –رحمه الله–: "جمعتُ في هذا الكتاب طرفاً مما سمعناه وجُملاً مما نقلناه عن أئمة الدين.. فأولُ ما نبدأُ بذكره من ذلك ما أمر الله به، وذكرهُ في كتابه من لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة، فقال –عز وجل–: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾{آل عمران:١٠٣}، ثم تهدد بالوعيد من فارق جماعة المسلمين؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾{آل عمران:١٠٥}.."[٦٠]؛ وبموجبه عقد الإمام ابن بطه بابين كاملين في الإبانة الكبرى من أجل بسط الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، (بابُ ذكر ما نطقَ به الكتاب نصًا في محكم التنزيل بلزوم الجماعة والنهي عن الفرقة)، (وباب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة والتحذير من الفرقة)؛ كل ذلك إيمانًا منه –رحمه الله– بأهمية وحدة الصف في مجتمعه والعمل على قوته وترابطه.

سار أئمة المسلمين وأعلامهم على منهج الكتاب والسنة في الدعوة إلى اجتماع الأمة، والبعد عن الفرقة والاختلاف والتحزب بينهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في ذلك: "هو من أعظم أصول الإسلام، ومما عَظُمت وصيةُ الله تعالى به في كتابه، وممّا عَظُمَ ذمُّهُ لمن تركهُ من أهل الكتاب وغيرهم، وممّا عَظُمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامةٍ وخاصةٍ"[٦١].

إن المتأمل في الأمة الإسلامية يجد أنها تعاني اليوم من ضعف في تطبيق هذا الأصل العظيم؛ فكثرت النزاعات، وظهرت الجماعات والفرق الإرهابية المخالفة للمنهج القويم، وضاعت الحقوق، وتشتتت الكلمة،

وذهبت هيبة الإسلام، وأقرب الناس إلى لمّ شعثها، وتوحيد صفّها، واجتماع كلمتها، ورجوع قوتها، هم الدعاة إلى الله؛ لإدراكهم أهمية الأمر، فهم أحسن الناس قولًا في تبليغ ميراث النبوة من الأوامر والنواهي، فقد علموا خبر نبيهم ﷺ في افتراق هذه الأمة إلى فرق كثيرة، كما قال ﷺ: (**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا تِلْكَ الْوَاحِدَةُ؟ قَالَ: هُوَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ أَنَا وَأَصْحَابِي**) -وفي رواية- (**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**)[٦٢]، فلا اجتماع لأمتهم إلا تحت مظلة هذا الدين، وبماذا يكون اجتماعهم؟ وكيف يكون؟ يكون الاجتماع على الاعتصام بنصوص الوحيين، وعلى وفق منهج الصحابة في فهمهم لها، فيجب على الدعاة حث المسلمين على الالتزام بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته ﷺ في أمور الاعتقاد والسلوك.

ومما يفيده الدعاة من منهج ابن بطة في حثه على الاجتماع ونبذ الاختلاف والتحزب عدم الانتماء إلى حزبٍ أو مذهبٍ أو طائفةٍ أو جماعةٍ وما شابه ذلك؛ لما يسببه من تعصبٍ وموالاةٍ ومعاداةٍ للأحزاب الأخرى المخالفة وكل حزب بما لديهم فرحون، فهدي النبي ﷺ كان يسدُّ المنافذ الموصلة إلى تلك الروابط التي سببت العصبيات القبلية، والإفتراقات الحزبية المقيته؛ لهذا لما قال بعض الصحابة ﷺ في غزوة بني المصطلق: يا للمهاجرين، وقال الآخر: يا للأنصار، صرخ بهم النبي ﷺ فقال: (**ما بَالُ دَعْوَى الجَاهليَّةِ.. دَعُوهَا فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ**)[٦٣]، فكيف بالأحزاب التي تدّعي سلامة المنهج وموافقة هدي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وهم قد خالفوا بعض منهجهم إن لم يكن كله. يقول الإمام ابن بطة عن أهل هذه الأحزاب: "إنَّ أَهلها خرجوا عن اجتماعٍ إلى شتاتٍ، وعن نظامٍ إلى تفرُّقٍ، وعن أُنسٍ إلى وحشةٍ، وعن ائتلافٍ إلى اختلافٍ، وعن محبةٍ إلى بُغضةٍ، وعن نصيحةٍ وموالاةٍ إلى غشٍّ ومعاداةٍ، وعصمنا وإيّاكم من الانتماء إلى كلِّ اسمٍ خالف الإسلام والسُّنة"[٦٤].

ويقول العلامة الشاطبي -رحمه الله-: "ثم استمرَّ تزايدُ الإسلام، واستقامَ طريقهُ على مُدَّةِ حياة النبي ﷺ، ومن بعد موته، وأَكثر قرن الصحابة ﷺ، إلى أَن نبَغَت فيهم نَوَابِغُ الخُرُوج عن السُّنة، وأَصغوا إلى البدع المضلَّة، كبدعة القدر، وبدعة الخوَارج"[٦٥].

ويقول الإمام البغدادي-رحمه الله-: "كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاجٍ واحدٍ في أصول الدين وفروعه غيرَ من أَظهر وفَاقًا وأَضمر نفاقًا"[٦٦].

فإن اجتمع كل حزب تحت اسم مؤسسه أو قائده أو لأصل بدعته؛ -كانتساب فرقة الجهمية للجهم ابن صفون-؛ فإن هذا سيكون اجتماعًا صوريًا لا يؤتي ثماره ولا يدوم طويلًا ومصيره الشتات، أما الاجتماع تحت اسم الإسلام والإيمان فهو الذي يدوم ويبقى ويؤتي ثماره، فإن أهل المنهج القويم لا ينتسبون إلا إلى

الإسلام أو الإيمان أو ما دلّ عليه الدليل، فلا يغترون بأسماء تلك الحركات والشعارات الحزبية ونحوها، ويكفيهم فخرًا الانتماء لأعظم الأسماء الذي سماهم به ربهم في كتابه باسم المؤمنين، الذين آمنوا بوجود الله، وبربوبيته، وبألوهيته، فالعبادة حق صرف له سبحانه، فلا يستحقها ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح ولا غيرهم، وآمنوا بأسمائه وصفاته، فيثبتون ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه، وما أثبته له رسوله ﷺ في سنته، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وأقروا بنبوة رسله أجمعين، وصدقوهم فيما جاؤوهم به من عند الله من شرائع دينه، وآمنوا بالملائكة، وباليوم الآخر وما يتضمنه من مقتضيات كالإيمان بعذاب القبر، والإيمان الجازم بالقدر خيره وشره، أولئك هم المؤمنون حقًا، فناداهم الله بأحب الأسماء إليهم، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾{النساء:١٣٦}، وسمّوا أهل السنة والجماعة وقد اشتهروا بذلك وصار علمًا عليهم؛ لأنهم اتفقوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ في المنهج اعتقادًا وعملًا، ودلّ بذلك الدليل من قوله ﷺ: (**عَلَيْكُم بسُنَّتي وَسُنةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين المهديين وعَضُوا عَلَيْها بالنَّواجِذ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ..**)[٦٧]، ودليل لفظ الجماعة عليهم، كما أخبر النبي في حديث الافتراق فقال: (**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرقةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً. قَالوا: من هيَ يا رسُولَ الله؟ قال: الجَماعة**)[٦٨]، فسُموا بالجماعة ودرجوا على منهاج النبوة، ولم ينفصلوا عنه لحظةً زمنيةً واحدةً لا باسمٍ ولا برسمٍ، فليس لهم شخص ينتمون إليه سوى النبي ﷺ ومن قفا أثره، وليس لهم رسم ومنهاج سوى الكتاب والسنة[٦٩].

ولهذا لما جاء رجل إلى الإمام مالك –رحمه الله– فقال له: يا أبا عبدالله أسألك عن مسألةٍ أجعلك حجةً فيما بيني وبين الله، قال مالك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، سَلْ: قال: من أهل السنة؟ قال: أهل السنة الذين ليس لهم لقبٌ يعرفون به لا جهميٌّ، ولا قدريٌّ، ولا رافضيٌّ[٧٠].

إذن ينبغي للدعاة الحذر والتحذير من هذه التفرقة بين المسلمين، فالمسلمون في صدر الإسلام من الصحابة ﷺ قبل ظهور التفرق والانشقاق ليس لهم اسم يمتازون به؛ لأنهم يمثلون الإسلام الذي سماهم الله به، والامتداد الطبعي له، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك التفريقُ بين الأُمة وامتحانها بما لم يأمُر الله به ولا رسولُهُ: مثل أَن يُقالَ للرجل: أَنت شكيلي، أَو قرفندي[٧١]، فإِن هذه أَسماءٌ باطلةٌ ما أَنزل الله بها من سلطان، وليس في كتاب الله ولا سُنَّة رسوله ﷺ ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأَئمة لا شكيلي ولا قرفندي، والواجب على المسلم إِذا سُئلَ عن ذلك أَن يقول: لا أَنا شكيلي ولا قرفندي؛ بل أَنا مسلمٌ مُتَّبِعٌ

لكتاب الله وسُنَّة رسوله"(٧٢). لكن لما حصلت التفرقة بين المسلمين وكثرت الفرق الضالة وأهل البدع ظهرت تلك الأسماء والألقاب الشرعية المميزة لجماعة المسلمين الثابتة لهم بأصل الشرع؛ لنفي الفرق والأهواء عنهم، فقيل لهم أهل السنة مقابل: أهل البدعة، وقيل لهم الجماعة؛ لاجتماعهم على الاتباع دون الابتداع، وعلى التآخي دون الافتراق. ولم تكن هذه الألقاب كذلك داعيةً لهم للتعصب لشخص دون رسول الله ﷺ، ولا تفضي إلى بدعة ولا معصية، ولا لطائفة معينة(٧٣).

ومن الأصول المنهجية المهمة؛ أصل الاجتماع على الإمام، وهو من الأصول المنهجية للإمام ابن بطة –رحمه الله– التي كان يدعو إليها ويؤصّل لها، وقد ساق النصوص التي تدعو إلى الاجتماع على الإمام وعدم مفارقته والخروج عليه، والسمع والطاعة في غير معصية، والصبر عليه وعدم منازعته وإن كان فاجرًا ظالمًا.

فيسوق –رحمه الله– النصوص التي تَحثُّ على لزوم إمام المسلمين، منها ما رواه عن أبي هريرة ﷺ بألفاظ متقاربة، وأسانيد مختلفة، عنه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَخَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ، فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا، وَفَاجِرَهَا، لَا يُحَاشِي مُؤْمِنًا لِإِيمَانِهِ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ أَوْ يُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ)**.(٧٤)

يقول الحافظ النووي –رحمه الله– في شرحه على صحيح مسلم، في قوله: (من فارق الجماعة مات ميتةً جاهلية): "أي على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم".(٧٥)

وروى ابن بطة –رحمه الله– عن الحارث الأشعري، أن النبي ﷺ قال: **(وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ: بِالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْجَمَاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَمَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ)** (٧٦)، وروى عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَنْ خَلَعَ يَدَهُ مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**"(٧٧)، وروى عن عرفجة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّهَا سَتَكُونُ هَنَاتٌ**(٧٨) **وَهَنَاتٌ، فَمَنْ جَاءَكُمْ يُفَرِّقُ بَيْنَ جَمَاعَتِكُمْ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ)**(٧٩)، ويوضح الإمام الصنعاني–رحمه الله– أن المفارق للجماعة هو من: "خرج عن الجماعة الذين اتفقوا على طاعة إمام انتظم به شملهم، واجتمعت به كلمتهم، وحاطهم عن عدوهم"(٨٠)

ويُبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن الاجتماع على الإمام وعدم الخروج عليه وطاعته في غير معصية أنه أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فيقول ما نصه: "من أصول أهل السنة والجماعة: لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وأما أهل الأهواء فيرون القتال من أصول دينهم"(٨١)

هذا هو منهج السلف الصالح، وما قرره أئمة الإسلام، قال الإمام أحمد –رحمه الله– في أصول السنة: "ومن خرج على إمامٍ من أَئمة المسلمين وقد كانوا اجتمعوا عليه، وأقرُّوا له بالخلافة، بأيِّ وجهٍ كان بالرضا أو الغلبة: فقد شقّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ؛ فإن مات الخارج عليه مات مِيتةً جاهلية، ولا يَحلُّ قتال السُّلطان، ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس؛ فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السُّنة والطريق"(٨٢).

وقال الإمام البربهاري–رحمه الله–: "ولا يحلُّ قتال السُّلطان، ولا الخروج عليه، وإن جار، وذلك لقول رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري: **(اصبر وإن كان عَبدًا حبشيًا)**، وقوله للأنصار: **(اصبِرُوا حتَّى تَلْقوني علَى الحوضِ)**، وليس من السُّنة قتال السُّلطان فإن فيه فساد الدُّنيا والدِّين"(٨٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "من أصول أهل السنة والجماعة: لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة"(٨٤).

فيتأكد على الدعاة الإكثار من الدعوة إلى هذا الأصل؛ لما يشاهده العالم اليوم في بعض البلدان من كثرة الفتن فيها، وقتل الأنفس المعصومة، والتعذيب، والتهجير، والتفريق، وغير ذلك من الدمار والخراب؛ وذلك بسبب الخروج على الحاكم، ولا ينكر ذلك إلا جاحد، أو انعدم تعاطفه على ما يحصل مع إخوانه المسلمين، وتزداد أهمية طرق هذا الأصل أيضًا لجهل بعض الناس بالمقصد والحكمة الشرعية التي وضعها الشارع في الاجتماع حول هذا الحاكم ولو كان ظالمًا، فينبغي طاعته في غير معصية؛ ليس إقرارًا لظلمه، وإنما تجنُبًا للمفسدة، وصيانةً لدماء المسلمين، فالله –عز وجل– وضعه ليسوس الرعية وينظمهم، ويسعى في جلب مصالحهم ويدفع المفاسد عنهم(٨٥).

وخلاصة ما سبق أنه يجب على الدعاة أن يتحلوا بالرؤية الثاقبة والنظرة الفاحصة، ويعملوا على تحقيق مصالح المسلمين وتوحيد صفهم، والإلتفاف حول إمامهم، وتعطيل المفاسد وتقليلها عنهم، وتحذير الناس بعدم الانقياد وراء العواطف أو الدعوات المهيجة التي يقوم بها بعض الجهلة ممن قل علمه وفقهه في مقاصد الشريعة، أو غُرِّر به، أو في قلبه مرض وقصد الضرر بالمسلمين، وليس أجمع للناس من ردهم إلى دينهم، وتصحيح مسارها على منهاج الهدي المعصوم –الكتاب والسنة–، الذي فهمه صحابة رسول الله ﷺ، ومن اقتفى أثرهم، وليُعلم كذلك أنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "إنهُ لا إسلامَ إلا بجماعةٍ ولا جماعةَ إلا بإمارةٍ ولا إمارةَ إلا بطاعةٍ"(٨٦)، وبهذا علم بالضرورة من دين الإسلام؛ أهمية الاجتماع وفضله وحسن مآله، والترهيب من الاختلاف والنزاع والفرقة؛ لشره وخطر عواقبه، وما أحوجنا اليوم للامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ .

المبحث الرابع: قاعدة التفريق بين الاختلاف المحمود والاختلاف المذموم

في هذا المبحث سيكون الحديث عن بيان متى يكون الاختلاف مذمومًا؟ وهو ما يُعرف عند أهل العلم باختلاف التضادّ، ومتى يكون الاختلاف محمودًا؟ وهو ما يُعرف باختلاف التنوع في المسائل العملية والفروع الفقهية الاجتهادية إذا لم يُفضِ إلى بغي وظلم وتنافر وتعصب وتحزب، وإلا لحق بالاختلاف الأول في الذمِّ والنكارة. ولذا أُفرد الحديث عن ذلك في هذا المبحث؛ تيمّنًا بفعل الإمام ابن بطة في تخصيصه لبيان الاختلاف المذموم عن المحمود؛ ولوقوعه بين أوساط طلاب العلم ومن تصدّى للدعوة بصفة خاصة.

وقد تحدث الإمام ابن بطة في كتابه الإبانة عن الفرق بين الاختلاف المذموم والمحمود؛ لأن قومًا من أهل الأهواء والبدع يقولون: إن أهل السنة والجماعة –الفرقة الناجية– يدعون إلى الاجتماع ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ونرى عندهم اختلافًا كثيرًا، وتباينًا في المذاهب، وكل واحدٍ منهم يذهب لمذهبه وينصره، ويعيب من خالفه!، فيذكر –رحمه الله– شبهتهم ويرد في بيان طويل فيقول: "..فإن قال قائلٌ: قد ذكرتَ نهي النبي ﷺ عن الفرقة ، وتحذيره أُمته ذلك ، وحضّهُ إياهم على الجماعة وقلتَ: إن ذلك هو أَصلُ المسلمين، ودعامةُ الدين، وأَن الفرقة الناجية هي واحدةٌ، والفرق المذمومة نيفٌ وسبعون فرقةً، ونحنُ نرى أَن هذه الفرقة الناجية أيضًا فيها اختلافٌ كثيرٌ، وتباينٌ في المذاهب، ونرى فقهاء المسلمين مختلفين، فلكلِّ واحدٍ منهم قولٌ يقولُهُ، ومذهبٌ يذهبُ إليه وينصرُهُ، ويَعِيبُ من خالفه عليه، فمالكُ بن أنسٍ–رحمه الله–إمامٌ وله أصحابٌ يقولون بقوله، ويعيبُونَ من خالفهم، وكذلك الشافعي–رحمه الله–..وكذلك أحمد بن حنبل–رحمه الله– كلُّ واحدٍ من هؤلاء لهُ مذهبٌ يخالف فيه غيره.. فإني أَقولُ له في جواب هذا السؤال: أَمّا ما تحكيه أهل البدع ممّا يعيبُون به أهل التوحيد، والإثبات من الاختلاف، فإني قد تدبَّرتُ كلامهم في هذا المعنى، فإذا هم ليس الاختلافُ يعيبُون، ولا لهُ يقصدون، وإنما هم قومٌ علموا أَن أَهل الملَّة.. والخاصة والعامة وأَهل الدنيا كافةً إلى الفقهاء يرجعون، ولأَمرهم يُطيعُون، وبحُكمهم يقضُون في كلِّ ما أُشكل عليهم، وفي كلِّ ما يتنازعون فيه، فعلى فُقهاءِ المسلمين يعولُون في رجوع الناس إلى فُقهائِهم، وطاعتُهم لعلمائِهم ثباتٌ للدين، وإضاءةٌ للسَّبيل، وظهورٌ لسُنَّة الرسول، وكلُّ ذلك، ففيه غيظٌ لأَهل الأَهواء، واضمحلالٌ للبدع، فهم يُوهُونَ أَمر الفقهاء، ويُضعِّفون أُصولهم، ويَطعنُون عليهم بالاختلاف لتخرج الرعيَّة عن طاعتِهم، والانقياد لأَحكامهم، فيُفسدُ الدِّين، وتُتركُ الصلوات والجماعات، وتُبطلُ الزكوات.."[٨٧].

ثم يواصل في بيانه أن الاختلاف على قسمين: اختلاف مذموم ولا يسوغ الخلاف فيه، وهو ما يكون في أصول الدين كقضايا الاعتقاد؛ كالخلاف في التوحيد وفي صفات الله، وفي القرآن، وفي القدر، وفي الجنة والنار، وفي اللوح المحفوظ، وغيرها من الأمور الغيبية التي لا ينبغي الخوض فيها، وكل خلاف خالف النصوص

الصريحة من كتاب أو سنة، أو مسائل خالفت إجماع الأمة، فهذا يجب اتباعه والاتفاق عليه ويحرم مخالفته ويكون الاختلاف فيه مذمومًا، وإذا وقع الاختلاف فيه؛ فإنه يؤول بأهله إلى الشتات والضغينة والتباين والعداوة واستحلال الدم والمال عند بعضهم، وهو الذي وقع فيه أهل الأهواء والفرق المبتدعة من الرافضة والخوارج وغيرهم(٨٨).

ثم بيّن النوع الثاني وهو الاختلاف المحمود؛ وقال فيه: "..أحدهما اختلافٌ الإقرارُ به إيمانٌ ورحمةٌ وصوابٌ، وهو الاختلاف المحمود الذي نطقَ به الكتاب، ومضت به السُّنة، ورضيت به الأُمة، وذلك في الفروع والأحكام التي أُصولها ترجعُ إلى الإجماع والائتلاف.. ولم يصر بهم إلى فرقةٍ، ولا شتاتٍ، ولا معاداةٍ، ولا تقاطعٍ، وتباغضٍ، فاختلفوا في فروع الأحكام والنوافل.. فكان للمسلمين فيه مندوحةٌ، ونَفسٌ، وفسحةٌ، ورحمةٌ، ولم يَعِبْ بعضُهم على بعضٍ ذلك.. ولا سبَّهُ، ولا لعنَهُ، ولقد اختلف أَصحابُ رسول الله ﷺ في الأحكام اختلافًا ظاهرًا عَلِمَهُ بعضهم من بعضٍ، وهم القدوة والأَئمة والحجة، فكان أَبو بكرٍ ﷺ يقول: إن الجدَّ يرثُ ما يرثُهُ الأبُ، ويحجبُ من يحجبهُ الأبُ، فخالَفهُ على ذلك زيد بن ثابتٍ ﷺ، وخالفهُما علي بن أبي طالب ﷺ، وخالفهُم ابن مسعود ﷺ، وخالفَ ابنُ عباسٍ ﷺ جميعَ أَصحابِ رسول الله ﷺ في مسائل من الفرائض.. وفي المسائل التي المُصيبُ فيها محمودٌ مأجورٌ، والمجتهد فيها برأيه المعتمدُ للحقِّ إذا أَخطأَ فمأجورٌ أيضًا غير مذمومٍ، لأَنَّ خطأَهُ لا يخرجُهُ من المِلَّة، ولا يُوجبُ له النار، وبذلك جاءت السنة عن المصطفى ﷺ"(٨٩).

اتضح منهج الإمام ابن بطة في إيراده لفقه الخلاف، وهو ما ينبغي للدعاة الإفادة منه لمعرفة أنواع الاختلاف الذي يسوغ وما لا يسوغ؛ فالواجب على الدعاة وكل أحدٍ أن يحترم الرأي الآخر في القضايا التي ليس فيها نصٌ قاطع ولا إجماع فاصل؛ فحينئذ كل يتعبد الله بما ظهر له من الحق والراجح في المسألة، ولا يحل لأحدٍ أن يمتحن ويلزم غيره بقبول رأيه، ولا أن يحمل الناس على قوله، بل الواجب طلب العذر، وأن تبقى محبة الدين والإخاء والصدور سليمة على من خالفنا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "فلا يجوزُ لأحدٍ أَن يمتحِنَ الناس بها ولا يُوالى بهذه الأسماء ولا يُعادى عليها بل أَكرمُ الخلق عند الله أَتقاهم من أيِّ طائفةٍ كان"(٩٠)، وقال في موضعٍ آخر: "مسائلُ الاجتهاد من عملَ فيها بقول بعض العلماء لم يُنكر عليه ولم يُهجر، ومن عملَ بأحد القولين لم يُنكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان: فإن كان الإنسان يَظهرُ له رُجحان أحد القولين عملَ به، وإِلَّا قلَّدَ بعض العلماء الذين يُعتمدُ عليهم في بيان أَرجح القولين"(٩١). هذا هو منهج السلف الأوائل والأئمة الأربعة –رحمهم الله–، ومنهج علماء الأمة بعدهم في الاختلاف الذي سوغته الشريعة، وما حصل من اختلاف في المذاهب الفقهية الأربعة لا يُعدُّ شرًا وفرقةً؛ لأنهم اختلفوا فيما

أُذن لهم من اجتهاد فيه وخاضع للنظر والتأمل، ولم يكن داعيًا لهم للتدابر والتشاحن، فكل إمامٍ منهم دعا إلى الأخذ بالسنن، وترك الرأي، ونهى عن تقليده، واتفقوا على شعار واحدٍ في ذلك فقالوا: "إذا صح الحديثُ فهو مذهبي"(٩٢)، وبعض المنتسبين إلى هذه المذاهب هم من أخطأ وغلا في التعصب المذهبي، فوقع القتل والتطاعن والتقاطع(٩٣)، كل ذلك بسبب التمذهب الأعوج، والأئمة منه براء فكثيرًا ما يختلفون في مسائل اجتهادية؛ ولم يكن مبررًا للطعن والتثريب، وخلت قلوبهم من الغل والحسد على بعضهم، وكان أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي، وغيرهم من الأئمة، يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية، وإن كانوا لا يقرؤون بالبسملة لا سرًا ولا جهرًا(٩٤)، فلم يكن ذلك الاختلاف بين هؤلاء العلماء الأجلاء سببًا في تعكير صفاء أخوتهم الإيمانية، أو القدح والثلب؛ لأن مقصدهم –رحمهم الله– البحث عن الحق وإقامة الدليل على صحة ما يعتقده، فلا يعيب بعضهم على بعض ما دام الأمر في دائرة الاجتهاد، يقول سفيان الثوري–رحمه الله–: "إذا رأيتَ الرجلَ يعملُ العملَ الذي قد اختُلفَ فيه، وأَنتَ ترى غيرهُ فلا تَنْهَهُ"(٩٥).

والسلف الصالح من الصحابة ﷺ قبل الأئمة والعلماء قد اختلفوا في مسائل اجتهادية، كما بيّن ذلك ابن بطة في الاختلاف المحمود، ولم يذكر عنهم أن ذلك أوجب تنافرًا وقطيعةً بينهم، أو عنف بعضهم على بعض، بل ما زالت قلوبهم متفقة والنفوس نقية، والصور الشاهدة في ذلك كثيرة جدًا، منها ما وقع بينهم عام الخندق عندما قال النبي ﷺ لأصحابه: **(لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ)**، فأَدركَ بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلّي حتى نأتِيهَا، وقال بعضهم: بل نُصلّي لم يُرَدْ منَّا ذلك، قال ابن عمر ﷺ راوي الحديث: فذُكرَ للنبي ﷺ، فما عَنَّفَ واحدًا من الفريقين(٩٦).

لذا مما يفيده الدعاة كما بيّن ذلك الإمام ابن بطة –رحمه الله– أن الاختلاف على قسمين **أحدهما**: الاختلاف فيه يكون مذمومًا إذا كان في القطعيات والأصول، كالذي وقع فيه أهل الأهواء والبدع من الخوارج والرافضة وغيرهم، فخلافهم فيها مذموم، وخلافنا لهم ممدوح؛ لأنه لا يجوز الاختلاف في أصول مسائل يقوم عليها المعتقد والأحكام، كتركهم الاحتجاج بالسنة، وتقديم ما تمليه العقول على نصوص الوحيين، وغير ذلك، وهذا النوع هو ما أدى إلى تفريق الأمة وشتاتها وتباينها.

ثانيهما: اختلاف محمود الإقرار به إيمانٌ وصوابٌ، وهو اختلاف جاءت به الشريعة، ورضيت به الأمة، وذلك في الفروع ومسائل الاجتهاد، فينبغي مراعاة الاختلاف فيها، بإحسان الظن مع المخالف، وعدم التهاجر والتباغض أو القدح فيه والتثريب عليه، وتبقى الألفة والمحبة والإخاء بينهما، ويكون الشعار في ذلك كما قال الشافعي –رحمه الله–: "ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في المسألة"(٩٧)، فالواجب على الدعاة السير على نهج السلف الصالح عند الاختلاف السائغ من غيره، والسعي إلى إحياء روح الأخوة

والمودة ونشرها في المسلمين، وإزالة الشحناء بينهم، وما أحوج الأمة اليوم إلى لمّ شملها وتوحيد كلمتها واجتماعها، والبعد عن كل ما يكون سببًا في فرقتها واختلافها.

المبحث الخامس: قاعدة التحذير من دعاة الضلالة والاستماع إليهم.

اقتضت حكمة الله –عز وجل– التباين في خلقه، فمنهم الخبيث ومنهم الطيب، وعَلِمَ سبحانه المفسد من المصلح فيهم، وأخبر نبي هذه الأمة ﷺ أنه سيأتي من أمته بعده دعاة خير يشوبهم شائبة تكدر صفاء هذا الخير الذي فيهم؛ لعدم التزامهم الكامل بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وعقّب النبي ﷺ في خبره أنه سيأتي بعدهم فتنةٌ عظيمة؛ سببها دعاة الشر والضَّلال، كما ثبت ذلك في سؤال حذيفة بن اليمان للنبي ﷺ، عندما قال حذيفة ﷺ: يا رسولَ الله إنَّا كنَّا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: **(نَعم)**، قلتُ: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: **(نَعم، وفيهِ دَخَنٌ)** قلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قال: **(قَومٌ يَهدُونَ بغيرِ هَديِي، تَعرِفُ مِنهُم وتُنكِرُ)** قلتُ: فهل بعدَ ذلكَ الخير من شرٍّ؟ قال: **(نَعم، دُعاةٌ إلى أَبوابِ جهنَّم، من أَجابَهُم إليها قذَفُوهُ فِيهَا)** قلتُ: يا رسولَ الله، صِفْهُم لنَا؟ فقال: **(هَمْ من جِلدتِنَا، ويَتكَلَّمُونَ بأَلسِنتِنَا)**(٩٨)، وقال ﷺ: **(إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ)**(٩٩).

الدعاة وسائل تأثير في المجتمع، فإما أن يدلُّوهم إلى خير أو شر، وقد أدرك الإمام ابن بطة خطر هذا الأمر وشاهده في زمانه، إلى أن وصل الأمر ببعضهم أن ينصِّب نفسه للإفتاء؛ فألّف في ذلك كتابًا سماه: (إبطال الحيل)، يميز فيه بين دعاة الحق والباطل، ومن يحق له الفتوى، كما قال –رحمه الله–: "فإني رأيتُ هذا الاسم قد كثُر المتسمُون به من عامة الناس وكافتهم؛ وما ذاك إلا لأن البصَائر قد غشِيت، والأفهامَ قد صدأت وأُبهمت عن معنى الفِقه ما هو؟ والفقيهُ من هو؟ فهم يُعولون على الاسم دُون المعنى، وعلى المنظر دُون الجوهر" (١٠٠).

واستشهد –رحمه الله– في تحذيره من أولئك برواية عن علي ﷺ قال: "يُوشكُ أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمهُ، ومن القرآن إلا رسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرةٌ وهي خرابٌ من الهدى، عُلماؤهم شرٌّ من تحت أديم السماء، من عندهم تخرجُ الفتنة، وفيهم تعودُ"(١٠١)؛ لذا كان كثيرًا ما يدعو بصيغة الجمع وكأنه يخص جميع الدعاة في زمنه وبعد زمانه بألا يكونوا من الأئمة المضلين، ويخالفوا منهج النبي ﷺ في دعوته، فيقول –رحمه الله–: "ولا جعلنا من الأَئمة المضلين، ولا ممَّن خَلفَ محمدًا ﷺ في أُمته بمُخالفته، وجاهدهُ لمُحاربته.."(١٠٢)، وكان يصرّح بأسماء بعض الأئمة المضلين ممن ظهر خطره على المسلمين، وبانت حقيقة منهجه يقينًا وليس مجرد ظنون وأوهام، كذكره في بعضهم: "وأُحذرهم مقالة جهم بن صفوان وشيعته" (١٠٣)، وكتحذيره من ابن

أبي دُؤاد، وبوب بابًا عنون له: (باب ذكر الأَئمة المضلين الذين أَحدثوا الكلام في القدر، وأَول من ابتدعه وأنشأهُ ودعا إليه)، وذكر من رؤسائهم –من القدرية– مَعبد الجهني.

هذا حال زمان ابن بطة قبل أكثر من ألف سنة يحذر من الأئمة المضلين، لذا تحتم على المصلحين من الدعاة وغيرهم تكثيف الجهود في تحذير المسلمين من الأخذ من دعاة الضلالة الذين تبيّن انحرافهم عن المنهج القويم، وصاروا يدعون الناس إلى بدعتهم وسلوكهم، وإن اقتضى الأمر التعيين بأسمائهم؛ لخطرهم على الدين، والتحذير من الاستماع إليهم في خطبهم ومحاضراتهم ودروسهم، أو مطالعة كتبهم ومقالاتهم؛ لهذا كان السلف يحذرون عوام الناس من دعاة البدع وأهلها أكثر من أصحاب الفسق والمعاصي؛ لكونهم أشد خطرًا على الدين نفسه، كما أوضح ذلك ابن القيم –رحمه الله– سبب كون البدعة شرًا من المعصية، فيقول: "المرتبة الثانية من الشرّ وهي البدعة: وهي أحب إليه –يعني: إبليس– من الفسوق والمعاصي؛ لأن ضررها في نفس الدين، وهو ضررٌ متعدٍّ.. وهي مخالفةٌ لدعوة الرسل، ودعاء على خلاف ما جاءوا به.. فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها بقي أيضًا نائبه وداعيًا من دعاته"(١٠٤).

ويبيّن الإمام ابن بطة سبب التحذير من مقالات هؤلاء، فيقول: "ولهذه المقالات والمذاهب رُؤساءُ من أَهل الضَّلالِ.. يقولون ما لا يعلمون، ويعيبون أهل الحق فيما يأتون، ويتَّهمون الثقات في النقل، ولا يتَّهمون آراءهم في التأويل، قد عقدوا أَلويةَ البدع وأَقاموا سوق الفتنة وفتحوا باب البليَّة.. أَنا أَذكرُ طرفًا من أَسمائِهم وشيئًا من صفاتهم؛ لأَن لهم كتبًا قد انتشرت ومقالاتٍ قد ظهرت لا يعرفُها الغرُّ من الناس ولا النَّشءُ من الأَحداث تخفى معانيها على أَكثر من يقرؤُها فلعلَّ الحَدثَ يقعُ إليه الكتابُ لرجلٍ من أَهل هذه المقالات قد ابتدأَ الكتابَ بحمد الله والثَّناءِ عليه والإطناب في الصلاة على النبي ﷺ.. فيظنُّ الحَدثُ الذي لا عِلمَ لهُ والأَعجميُّ والغُمْر من الناس أَن الواضعَ لذلك الكتاب عالمٌ من العلماء أَو فقيهٌ من الفقهاء..".(١٠٥)

وقال في موضع آخر وهو يحذر من دعاة الجهمية ومذهبهم: "وإِنما ذكرتُ هذه الأَقوال من مذاهبهم؛ لِيعلمَ إِخواننا ما قد اشتملت عليه مذاهبُ الجهمية المقبوحة المنبُوحة من أَلوان الضَّلال، وصنُوف الشرك، وقبائح الأقوال؛ لِيَجتنبَ الحدث ممَّن لا عِلمَ لهُ مجالستهُم وصُحبتهُم وأُلفتهُم، ولا يُصغِي إِلى شيءٍ من أَقوالهم وكلامهم"(١٠٦).

كان منهج السلف التحذير من دعاة الضلالة وحضور مجالسهم والاستماع إليهم؛ لخطرهم على دين المسلم، وحفاظًا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من منهج في الاعتقاد والسلوك، فكان أحدهم يقول: لو صحب ابني أحدًا من رفقاء السوء تمنيت أن يكون فاسقًا سُنيًّا، ولا يكون عابدًا مبتدعًا، كل ذلك حرصًا

منهم على حفظ دين الناس مما يشوبه، وفي ذلك يقول الإمام التابعي الجليل سعيد بن جبير-رحمه الله-: "لأن يَصحبَ ابني فاسِقًا شاطرًا سُنيًّا أَحبُ إليَّ من أن يصحبَ عابدًا مُبتدعاً"(١٠٧)

إذن مما يفيده دعاة هذا العصر من منهج الإمام ابن بطة التحذير من دعاة الضلالة الذي تبين فساد منهجهم، وعدم الأخذ عنهم، والحذر من وسائلهم من كتب ونحوها، والاستماع إليهم وحضور مجالسهم، ويكون التحذير من دعاة الضلال والفتنة وكشف خطرهم لا بقصد الطعن والتشفي في الناس، وإنما بقصد التقرب إلى الله بهذا التحذير والتوصل إلى الحق؛ لأنه من النصيحة المشروعة في الدين، ولئلا يتأثر بذلك الأحداث والناشئة وعوام الناس ممن لا علم له ولا تمييز بين الغث والسمين، وبقصد حمايتهم من الأضرار والشرور التي تلحقهم في دينهم وتعرضهم لسخط الله في الدنيا والآخرة، ويكون الناس على بصيرة في دينهم ومعرفة الحق والمنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة.

المبحث السادس: قاعدة المرجعية العلمية.

نوّه الله تعالى بمكانة العلماء، حيث قرنهم بالملائكة في الشهادة بالتوحيد، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ {آل عمران:١٨}، وبيّن أن العلماء هم أخشى الناس لله، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ {فاطر:٢٨}، وجعلهم من أولي الأمر الذين تجب طاعتهم، قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ {النساء:٥٩}، قال ابن عباس ﷺ ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾: هم أولو العلم والفقه(١٠٨)، وجعلهم الله مرجعًا للأمة، فقال سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ {النحل:٤٣}، وبيّن النبي ﷺ مكانتهم بأنهم هم ورثة الأنبياء، بقوله ﷺ: (وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَّثُوا الْعِلْمَ)(١٠٩)، وذكر فضلهم على الناس، حتَّى على العبّاد المنقطعين لعبادة الله، كما أخبر بذلك ﷺ، فقال: (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ)(١١٠).

فالإمام ابن بطة لما رأى انتشار الأهواء وكثرة الفتن والفرقة والاختلاف، وتصدّر دعاة الضَّلالة والمتعالمين للناس؛ جعل من أصول منهجه بيان صفات العلماء الربانيين، ومعرفة مكانتهم، ووجوب احترامهم وتوقيرهم والرجوع لمسألتهم، وقد بسط القول في الحديث عن مكانتهم وفضلهم، وأهمية الرجوع إليهم، وما إلى ذلك، حيث يقول:"أَضافهُمُ الله إلى نفسه فيما شهد لها بالإلهية، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ {آل عمران:١٨}، ثم رفعهم على جميع خلقه، فقال: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ

﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ {المجادلة:١١}.. فهم صفوة الله من عباده، وأهل نُوره في بلاده، اصطفاهم الله لعلمه، واختارهم لنفسه، وعرّفهم حقه، ودلّهم على نفسه، فأَقام بهم حُجَّته، وجعلهم قوّامين بالقسط، ذُبَّابًا عن حُرَمِه، نُصحاءَ له في خلقه، فارّين إليه بطاعته؛ فلذلك أَمرَ الله بمسألَتِهم، والنُّزول عند طاعتهم، فقال- عز وجل-: ﴿فَسۡـَٔلُواْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ {النحل:٤٣}، ثم أَلصقَ طاعتهُم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، فقال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ {النساء:٥٩}.. فطاعتهم على جميع الخلق واجبةٌ، ومعصيتهم مُحرَّمةٌ، من أَطاعهم رشدَ ونَجا، ومن خَالفهم هَلكَ وغوَى، هم سُرُج العباد، ومنارُ البلاد، وقوَامُ الأُمم، وينابيع الحِكَمِ، في كلِّ وقتٍ وزمنٍ.."(١١١).

من أهم ما يفيده الدعاة والمصلحون عامة ماكان يحث عليه الإمام ابن بطة في الرجوع إلى العلماء ومعرفة منزلتهم وما يوجب توقيرهم وإجلالهم؛ لأن المتأمل في واقعنا المعاصر يشهد الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام على علمائنا، وما وصلوا إليه من النجاح في الفصام بين العلماء وطلابهم وبين عامة الناس، وهذه هي الحالقة والكارثة؛ فخرج على إثرها نشوء الأهواء والتعالم والفتن والافتراق وكثرة التحزبات، واستبيحت لحوم العلماء، نعم قد يقلّ العلماء الربانيون لكن لا يمكن أن يخلو زمان ممن يُعلِّمُ الناس دينهم، ويقيم الحجة عليهم في بلاغ الدين، فهل يعقل أن الله -عز وجل- يحيلنا عليهم فلا نجدهم عند الحاجة إليهم؟ لا يمكن أبدًا، وهو من يأمرنا سبحانه بالرجوع لهم والصدور عن قولهم: فقال: ﴿فَسۡـَٔلُواْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ {النحل:٤٣}، وقال: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ {النساء:٨٣}، وأخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ: (**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**)(١١٢)، وقال ذلك صحابة رسول الله ﷺ، فقد قال عمر رضي الله عنه: "الحمدُ لله الذي امتنَّ على العباد بأَن يجعلَ في كلِّ زمان فترةٍ من الرُّسلِ بقايا من أَهل العلم، يدعُونَ من ضلَّ إلى الهُدى، ويَصبرُونَ منهم على الأذى، ويُحيونَ بكتاب الله أَهل العمَى، كمْ من قتيلٍ لإبليسَ قد أَحيوهُ، وضالٍ تائهٍ قد هَدوْهُ.."(١١٣).

وكما قال الإمام ابن بطة: "..ومن سبقت له الرحمةُ في كتابه لا يُخَلِّي كُل زمان من بقايا من أَهل العلم، وحملةِ الحُجة يدعُون من ضل إلى الهدى، ويذُودونهم عن الرَّدى"(١١٤).

خرج في عهد النبي ﷺ رجالٌ في سفر، فأصيب أحدهم بحجرٍ فشجه في رأسه، ثم احْتلَمَ، فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصةً في التيمُّم؟ فقالوا له: ما نعلم إلا أنك تغتسل، ما نجد لك رخصةً وأنت تقدر على

الماء؛ فاغتسل فمات بسبب ذلك. فلما قدموا إلى النبي ﷺ أخبروه بذلك؛ فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا، فقال: **(قَتَلوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، ألا سألُوا إذْ لم يَعلَموا، فإنما شِفاءُ العِيّ السُّؤالُ)**(١١٥).

فالرجوع للعلماء أمر رباني لابد أن يمتثل الناس ذلك، فهم المرجع عند السؤال والإشكال والمعضلات، فيتأكد على الدعاة بيان هذه القضية المهمة في لزوم غرز الراسخين في العلم، وبخاصة توجيه شباب اليوم والأجيال القادمة للالتفاف حولهم، فقد غُرر بالكثير منهم؛ بسبب أولئك الأحداث المتعالمين، وربما أهل الأهواء أحيانًا الذين خاضوا في مسائل مصيرية من كبار مسائل العلم، كمسائل التكفير وغيرها، تجرعت الأمة ويلات جهل الشباب وتسرعهم فيها غير المنضبط؛ فحصل الدمار والخراب من تفجير وقتل وما شابه ذلك، يقول ابن القيم –رحمه الله–: "جعل النبي ﷺ الجهل داءً، ودواؤهُ سؤال العلماء"(١١٦).

فعلى الدعاة ربط الناس بعلمائهم وعدم الوقيعة فيهم والتغاضي عن زلاتهم ولا يذكرونهم إلا بالجميل، وهو ما كان دائمًا يوصي به الإمام ابن بطة: بتفهّم ما يقولون، وترك الكلام فيما لم يتكلموا فيه، والاقتداء بهم وإجلالهم ومحبتهم، والاستضاءة بنورهم(١١٧)، وهذا هو منهج السلف الصحيح وسبيلهم مع علمائهم، يقول الإمام الطحاوي–رحمه الله–: "وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السّبيل"(١١٨).

العلماء الربانيون يُتّبعون حيث كانوا ومن كانوا، فالرجوع إليهم وموالاتهم والقرب منهم وإجلالهم قربة وطاعة لله؛ لتعظيم حقهم من الله ورسوله ﷺ، قال ﷺ: **(لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حقَّ كَبِيرنَا)**. وفي رواية: **(وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ)**(١١٩)، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "يجبُ على المسلمين بعد موالاةِ الله ورسوله ﷺ، موالاةُ المؤمنين كما نطق به القرآن، خصوصًا العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يُهتدى بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم"(١٢٠).

فعلى الدعاة معرفة منهج السلف الصحيح في ترسيخ منزلة العلماء الراسخين في نفوس الناس، والثقة فيهم والرجوع إليهم عند المشكلات ونزول المعضلات، وعند حلول الفتن والشبهات، وعدم معارضتهم والطعن فيهم؛ لأن هذا هو ما يسرُّ الأعداء، ومتى ما سقطت قيمة العلماء وهيبتهم في المجتمعات صار مجتمعًا قابلًا للتصدع والفوضى والنكبات.

المبحث السابع: قاعدة التحذير من الغلو في الدين.

ميّز الله الدين الإسلامي من بين الأديان المحرّفة بالوسطية والاعتدال، كما شهد لها في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾{البقرة:١٤٣}، فكانت أمة محمد ﷺ وسطًا في عقيدتها وأحكامها بين تشدد اليهود وغلو النصارى، ومن أبرز مظاهر انحراف اليهود والنصارى، حالهم مع الأنبياء، فإن اليهود استخفوا بهم حتى قتلوهم، والنصارى عظّموا الأنبياء حتى عبدوهم، وعبدوا تماثيلهم، والأمة الوسط أمة محمد ﷺ اعتقدت بأنهم عبيد لله، وأفضل خلقه، واصطفاهم لتبليغ رسالته، فعرفوا مقاديرهم؛ فلم يغلوا فيهم غلو النصارى، ولم يجفو عليهم جفاء اليهود(١٢١)، ولهذا قال النبي ﷺ: (**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ**)(١٢٢)، وقد خاطب الله أهل الكتاب على وجه الخصوص وحذَّرهم من الغلو، وقصَّ علينا خبر غلوهم في كتابه؛ لتحذير هذه الأمة من سلوك مسلكهم، وتجنب أسباب هلاكهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾{المائدة:٧٧}.

وأمة الإسلام ليست بمنأى عن هذا الغلو؛ لأن بعضهم قد حاد عن سمة الإسلام في الوسطية والاستقامة والاعتدال؛ لذا جاء النهي الصريح من النبي ﷺ لأمته وتحذيره إياهم من سلوك طرق السابقين بالغلو في الدين، فقال: (**أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**)(١٢٣)، لكن أمته افترقت في اتّباعه والانحراف عن هديه، وعن منهج صحابته ﷺ على أكثر من سبعين فرقة، وفرقة واحدة توسطت، كما أخبر ﷺ بذلك، وأما بقية الفرق فهم على طرفي نقيض، إما مُفْرِطٌ أو مُفَرِّطٌ.

المتأمل في زمن الإمام ابن بطة يرى تفاوت مقدار الاستجابة عند الناس لتلك النصوص المحذرة، فمنهم مفرِّطٌ زائغٌ ومضيعٌ لحدود الله، ومنهم غالٍ تجاوز حدود الله، ومنهم من هو مستقيم على طريق الحق متمسك بمنهج سلفه الصالح، وكل صنف من هؤلاء كان له نصيب من البيان والتوجيه والرد على ما وقع فيه من غلو وتفريط؛ ولذا كان ذلك أحد أسباب تأليف كتابه (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ومجانبة الفرق المذمومة- الإبانة الكبرى-)، وتأليف كتاب (الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، ومجانبة المخالفين، ومباينة أهل الأهواء المارقين-الإبانة الصغرى-)، ونذكر شيئًا مما حكاه عن الغلو الواقع في زمنه بقوله: "فأَصبحنا وقد أَصابنا ما أَصابَ الأُمم قبلنا، وحلَّ الذي حذرنا نبينا ﷺ.. وترك الجمهور منَّا ما به أُمرنا، فخلَعت لُبسةَ الإِسلام، ونزعت حِلية الإِيمان.. فعُبِدت الأهواء، واستُعملت الآراء.. وقُدحت زِنادُ الزَّندقة فاضطرمت

نِيرانُها، وخُلِفَ محمدٌ ﷺ في أُمته بأَقبح الخَلَف، وعَظُمت البليَّة، واشتدَّت الرَّزية وظهرَ المبتدعون، وتنطَّعَ المتنطِّعُون، وانتشرت البدع.."(١٢٤).

إن قضية الغلو في الدين تعد أحد أهم القضايا في حياة المسلمين المعاصرة، إن لم تكن هي أولى المشكلات في العالم الإسلامي المعاصر؛ لأنها أصبحت ظاهرة وهمًّا دوليًا يعقد لها المؤتمرات والندوات على مستوى الشأن السياسي والاجتماعي، مع التنبيه لأخذ الحذر مما يستغله الأعداء في تضخيم هذه القضية بأن الغلو والتطرف لا يكون إلا من المسلمين!. وما يهم الأمر هنا هو مدى الإفادة لدعاتنا اليوم حول قضية الغلو في الدين من أصول منهج الإمام ابن بطة ومعرفة الأسباب، والتوصل للحلول والعلاج لها التي تفيد حياة المسلمين المعاصرة .

بالإستقراء يتضح أن أسباب الغلو التي وقع فيها بعض الفرق المنحرفة في زمن الإمام ابن بطة، وبخاصة الغلو في الاعتقاد، كالرافضة والخوارج وغيرهم، متفقة إلى حدٍ كبير مع الغلو المعاصر، وقد يكون بعض الفرق تجمع الأسباب كلها أو بعضها، وهذا بيان بأهمها:

أولًا: البعد عن الكتاب والسنة، ويكون ذلك بالجهل بهما، أو الاستغناء عنهما كمصدر تشريع وجعل ما تمليه العقول والآراء مقدمة وحاكمة عليهما، وإلى هذا المعنى أشار الإمام ابن بطة في مواضع عديدة، كقوله: "إني لما رأيتُ ما عمَّ الناس وأظهروه وغلب عليهم فاستحسنوه من فَظائع الأهواء وقَذَائِع الآراء وتحريف سنتهم وتبديل دينهم.. فنَبذوا الكتاب وراء ظهورهم.."(١٢٥). ويقول في تحذير من هداه الله لاتِّباع الحقِّ من موافقة هؤلاء المنحرفين بأن: "يستعملوا الحذر من موافقتهم ومتابعتهم، ويلزمون.. في الاعتصام بحبله، والتَّمسُّك بدينه، والمُجانبة والمُباعدة ممَّن حَادَّ اللهَ في أَمره"(١٢٦)، ويقول في موضع آخر مؤكدًا على أن ما حلَّ بهؤلاء الغالين هو بسبب تقديم آرائهم على نصوص الوحيين: "..لأَنَّ اختلافهم في شرائع شَرَعتهَا أَهواؤهم، وديانات استحسنتها آراؤُهم، فتفرَّقت بهم الأهواء.. وحلَّ بهم البلاءُ، وحُرموا البصيرة والتوفيق، فزلَّت أَقدامُهم عن محجَّة الطريق.."(١٢٧)، وهذا أصلٌ غالبٌ في أهل البدع، كغلاة الرافضة قديمًا وحديثًا؛ يقدمون العقل على النقل في تقرير مسائل الاعتقاد والأعمال(١٢٨).

ثانيًا: البعد عن منهج السلف الصالح، وعن فهمهم لأدلة نصوص الوحيين، وهذا مستنبطٌ من إثبات ابن بطة وتقريره لاتباع منهج السلف، ومن وصاياه الوفيرة للناس بأخذ أقوالهم والاستماع إليها والتشبث بها؛ لمباشرتهم الوقائع ونزول الوحي، كقوله: "فهذا طريق الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين الذين جعلهم الله هُداة هذا الدين، موافقٌ ذلك لنص التنزيل وسنة الرسول ﷺ، فنعوذ بالله من عبدٍ بُليَ بمخالفة هؤلاء، وَآثرَ هَواهُ وَردَ دين الله وشرائعه وسنة نبيه ﷺ إلى نظره ورأيه واختياره"(١٢٩)، ومن مظاهر البعد عن منهج السلف

وعدم الفهم للنصوص اتباع المتشابه من آي القرآن، والتأويل الفاسد لها؛ مما أدى إلى انحراف أقوام من المبتدعة، كالخوارج مثلاً، كما بيّن ابن بطة حالهم في قصة التحكيم وتأويلهم الفاسد لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ {الأنعام:٥٧}؛ وترتب على الاستدلال الجاهل السقيم استحلال الدماء وتكفير المسلمين بالذنوب، كتكفيرهم لرابع خلفاء رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ، كما وصفهم ابن عمر ﷺ بأنهم: "ينطلقون إلى آياتٍ نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين"(١٣٠)، وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: "وكان أول كلمةٍ خرجوا بها قولهُم: لا حكم إلا لله، وانتزعوها من القرآن وحملوها على غير محملها"(١٣١)، وقد وصفهم من لا ينطق عن الهوى ﷺ: **(يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ)**(١٣٢).

وعند تأمل واقع هؤلاء الخوارج القدماء تجد أن جذورهم ممتدة وباقية إلى عصرنا، وتولدت منها تنظيمات وجماعات غالية تكفيرية استحلت الدماء المعصومة من المسلمين والمشركين المستأمنين والمعاهدين والذميين، فأحيت منهج الخوارج وفكرهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم فيبتدعون بدعةً مخالفةً للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفّرون من خالفهم في بدعتهم"(١٣٣) ومن هذه الجماعات: جماعة المسلمين (التكفير والهجرة) (١٣٤)، ومن التنظيمات: تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)(١٣٥)، وهما يسلكان نهج الخوارج، ويغاليان في التكفير لكل من ارتكب الكبائر؛ فكفّرتا حُكّام المسلمين لتعاملهم بالربا ونحو ذلك، وكفروا المحكومين كذلك لرضاهم بهم بدون تفصيل، ويظهر أن تنظيم داعش أكثر وحشيةً وغلوًا في استباحة الدماء، وللأسف انخدع بهم حدثاء الأسنان من شباب المسلمين.

وعلاج هذا السبب هو طلب العلم على يد العلماء الراسخين ولزوم منهج سلف هذه الأمة، كما قرر هذا الإمام ابن بطة؛ لإداركهم ما لا يدركه غيرهم، فهم وسط بين مذاهب الأمة وفرقها، كوسطية أمة الإسلام بين بقية الأمم، فمنهجهم مع مرتكب الكبيرة أنهم لا يسلبون عنه مطلق الإيمان، ولا يعطونه الإيمان المطلق، فهم وسط بين فرقتين فرقة الخوارج الذين سلبوا عنه الإيمان مطلقًا، وبين فرقة المرجئة الذين أعطوه الإيمان كاملًا، فهم خير قرون هذه الأمة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، بشهادة رسول الله ﷺ لهم، وهم أفضل الناس إيمانًا، وعلمًا، وعملًا، وعبادةً، وفهمًا وبيانًا، ولا ينفي هذا إلا مكابر للإسلام وأهله(١٣٦)، فينبغي لدعاة اليوم نشر منهج السلف؛ لحاجة الأمة لذلك؛ ولأن في التزامه سلامةً من الانحراف والابتداع في الدين، فلا يكاد يوجد مظهر من مظاهر الغلو إلا وللسلف قول ظاهر في إنكاره ومخالفته.

ثالثاً: التعمُّق والتكلُّف فيما لم يأمر الشارع به، كإدخال العقل في باب الغيبيات، أو كالإحداث والزيادة على العبادات من غير دليل، أو البحث والسؤال عمَّا لا يضرُّ الجهل به، وهذا السبب يعد بوابة الشك والحيرة لمن تقحّم فيه، وعقد الإمام ابن بطة بموجب ذلك بابًا: (باب ترك السُّؤال عمَّا لا يُغني، والبحث والتَّنقير عمَّا لا يضرُّ جهلهُ، والتحذير من قومٍ يتعمَّقُون في المسائل)، وافتتح الباب بقوله: "اعلموا إخواني أَني فكَّرتُ في السبب الذي أَخرج أَقوامًا من السُّنة والجماعة، واضطرَّهم إلى البدعة والشَّناعة، وفتح باب البليَّة على أَفئدتهم وحجبَ نُور الحقِّ عن بصيرتهم، فوجدتُ ذلك من وجهين: أَحدهما: البحثُ والتَّنقير، وكثرةُ السُّؤال عمَّا لا يُغني، ولا يضرُّ العاقل جهلُه، ولا ينفعُ المؤمن فهمه.."[١٣٧]، وبيّن في موضع بأن مفتاح الوقوع في الكفر وظلمته هو الولوج بالعقل في علم الغيب، فيقول -رحمه الله-: "أَما عَلِمَ الزائغون مفاتيح أَبواب الكُفر، ومعالم أَسباب الشِّرك، التكلُّف لما لم تُحط الخلائق به علمًا به، ولم يأتِ القرآن بتأويله، ولا أَباحت السُّنة النَّظر فيه، فتَزيَّدَ الناقصُ الحقير، والأحمق الصغير بقوته الضعيفة، وعقله القصير أَن يهجمَ على سرِّ الله المحجُوب..فكلُّ ما لم ينزل الوحي بذكره، ولم تأتِ السُّنة بشرحه من مكنون علمِ الله، ومخزون غيبه، وخَفِيِّ أَقداره، فليس للعباد أن يتكلَّفوا من علمهِ ما لا يَعلمُون، ولا يتحمَّلُوا من نقله ما لا يُطيقُون.."[١٣٨]، وقد وقع في هذا السبب الجهمية في زمنه رحمه الله، وتكلَّفوا ما تعجز عقولهم الضعيفة عن إدراكه في علم الغيب؛ فتقلبوا في فنون الإلحاد كنفيهم الصفات عن الله-عز وجل-، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "سائر أئمة المسلمين، فإنهم متفقون على أَن ما جاء به الرسول ﷺ لا تدركه كل الناس بعقولهم، ولو أَدركوه بعقولهم لاستغنوا عن الرسول"[١٣٩].

إن التعمُّق والبحث في أمور الغيب وتسلسل الفكر إلى ما لا نهاية وحد، كالتفكر في وجود الله، أو في صفاته سبحانه وكيفيتها، أو التعمُّق في القضاء والقدر ومسائله، أو كيفية عذاب القبر ونعيمه، كل هذا ممنوع؛ لأنه قد يجر بالمسلم إلى الوقوع في الوسوسة والحيرة، ثم الوصول به إلى إنكار تلك الحقائق، أو المروق من الدين؛ لأنها خارجة عن مدركات العقول؛ لذا استشهد ابن بطة بحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**يَأْتِي الْعَبْدَ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ**)[١٤٠]، ولا يقصد بالبحث والتفكر هنا المشروع منه، كالتفكر والتدبر في مخلوقات الله وآياته الدالة على وجوده، فذلك عبادة مستقلة مشروعة حث عليها الشارع الحكيم، قال الله: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ** ﴾{الروم:٢٢}، وقال النبي ﷺ: "تفكّروا في آلاء الله، ولا تفكّروا في الله"[١٤١]، وكقول ابن عباس ﷺ: "تفكّروا في كل شيءٍ،

ولا تفكّروا في ذات الله"[١٤٢]، ولهذا ظهر في الواقع المعاصر من بعض أبناء المسلمين من وصل به إلى الفكر الإلحادي إلى إنكار وجود الله، أو سبَّ الذات الألهية وما شابه ذلك، وقد يكون هذا الغلو على مستوى أفراد ابتداءً، لكن مع مرور الأيام انتشر عبر مواقع الإنترنت ووسائل التواصل وغيرهما، ولا شك أن الوقوع في شباك الغلو والإلحاد أسبابه كثيرة-ليس هذا موضع بسطها-[١٤٣]، وأهمها ما يكون من التكلُّف والتقحم المنهي عنه الذي أشار إليه ابن بطة -رحمه الله-. ومن الغلو المعاصر -باعتبار السبب الذي نتحدث عنه- ما يكون على مستوى جماعات، كغلاة الصوفية الذين وصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بوحدة الوجود، واختراعهم من العبادات في الدين ما ليس منه[١٤٤].

وعلاج هذا السبب التسليم والإذعان لأمر الله ورسوله ﷺ فهو سبيل الفلاح والثبات، فتُتَلقى الأوامر بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس وضرب الأمثال، ويكون الشعار بقول: (سمعنا وأطعنا)، ولو لم تعرف الحكمة والمعنى من أمر الشارع، وتكثيف الجهد بتعليم الناس عقيدة التوحيد الصافية بأنواعها، المبنية على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، وتقريرها في نفوسهم؛ لحصانتهم من الاعتقادات والنحل والمناهج الفاسدة، وعدم الإحداث في الدين ما ليس منه؛ لكمال الدين، وتمام السنة، كما كان يقرر ذلك الإمام ابن بطة في منهج دعوته[١٤٥].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره إذ أعانني على إعداد هذا البحث، الذي تناولت فيها قواعد دعوية مستنبطة من حياة العالم الجليل الإمام أبي عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري من خلال كتابيه الإبانة؛ ووضعتها كعناوين لكل مبحثٍ، ثم استخلصها من خلال استقراء كتابيه؛ الإبانة الكبرى والإبانة الصغرى. وأختم بتلخيص لأهم النتائج التي توصلت إليها وبعض التوصيات.

أولًا: النتائج:

- إن الهدي كل الهدي والخير كل الخير في الاتباع والشر في الابتداع، وهذا يتطلب الاعتناء والأخذ بنصوص الوحيين وتقديمها على العقل والرؤى والمكاشفات والعادات، وعدم إهمالها في الدعوة إلى الله.

- البدء بالأهم فالأهم من القواعد التي تؤصّل أمرًا منهجيًا مهمًا في الدعوة إلى الله، وهو مبدأ رئيس في سلامة الداعية في دعوته من التناقض والخلل، وهذا منهج رباني وسنة شرعية.

- إن قاعدة لزوم الجماعة وإمامهم ونبذ الفرقة والتحزب؛ تعد من أعظم مقاصد أصول الإسلام في الدعوة إلى الاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف التي دلّت عليها النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، والتي تحث وتؤكد على أهمية هذا الأصل وضرورته للمجتمع في بقائه واستمراره.

– ينبغي على الدعاة معرفة ما يسوغ وما لا يسوغ من الاختلاف؛ واحترام الرأي الآخر في القضايا التي ليس فيها نصٌ قاطع ولا إجماع فاصل؛ فحينئذ كلٌ يتعبد الله بما ظهر له من الحق والراجح في المسألة، ولا يحل لأحدٍ أن يمتحن أحدًا ويلزم غيره بقبول رأيه، ولا أن يحمل الناس على قوله، بل الواجب طلب العذر.

– يُحتَّم على المصلحين من الدعاة وغيرهم تكثيف الجهود في تحذير المسلمين من الأخذ من دعاة الضلالة، الذين تبيّن انحرافهم عن المنهج القويم، وصاروا يدعون الناس إلى بدعتهم وسلوكهم المنحرف؛ لما يترتب على ذلك من دفع مفسدة وجلب مصلحة.

– ينبغي ترسيخ منزلة العلماء الربانيين في نفوس الناس، والثقة فيهم والرجوع إليهم عند المشكلات ونزول المعضلات، وعند حلول الفتن والشبهات، ومتى ما سقطت قيمة العلماء وهيبتهم في المجتمعات صار مجتمعًا قابلًا للتصدع والفوضى والنكبات.

– جذور الخوارج القدماء ممتدة وباقية إلى عصرنا، وتولدت منها تنظيمات وجماعات غالية تكفيرية استحلت الدماء المعصومة من المسلمين والمشركين المستأمنين والمعاهدين والذميين، فأحيت منهج الخوارج وفكرهم؛ لذا ينبغي مواجهة الغلو والتجذير منه.

ثانيًا: التوصيات:

١– أحث الباحثين على إخراج تراث الإمام ابن بطة العلمي الوفير؛ فإنه لم يحقق من كتبه إلا ثلاثة، وهي: أولًا: الإبانة الكبرى، ولم يكتمل تحقيقه كاملًا بعد. ثانيًا: الإبانة الصغرى. ثالثًا: إبطال الحيل.

٢– أوصي الدعاة بأن يتخصص بعضهم في دعوة أهل البدع ومناصحتهم واستصلاحهم، وسبر واقعهم، وسلوك السبل الملائمة في دعوتهم وإنقاذهم من البدع والخرافات؛ لأن بعضهم قد غرر به ولُبّس عليه من رؤوس دعاة البدعة والضلال.

٣– الوصية لمن وفقه الله في دعوة المخالفين بأن يركز على أصول مناهجهم، التي تخالف أصول الدين، وغض الطرف عن فروعها (ابتداءً).

٤– عدم الاستعجال والتصدر للفتوى؛ لخطورتها على صاحبها، إلا بعد التأهل التام بعلوم الشريعة، وتكرار قراءة كتاب: إبطال الحيل، للإمام ابن بطة لما فيه من المواعظ المتعلقة بترهيب التصدر للإفتاء، وبيان شروط المفتي وضوابطه، وآداب المستفتي مع المفتي.

وختامًا أسأل الله أن يمنّ عليّ وعلى القارئ وجميع المسلمين بتمام الإخلاص والمتابعة، وأن يجعل هذا البحث عملًا صالحًا وعلمًا نافعًا يُنتفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ ، (٣٩٠/١٤).

(٢) المرشد في كتابة الأبحاث، حلمي فوده وعبد الرحمن عبد الله، الناشر: دار الشروق-جدة، ط٦، ١٤١٠هـ، ص (٤٢).

(٣) ينظر: طبقات الحنابلة، أبو الحسن ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة-بيروت، (١٤٤/٢).

(٤) ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: علي معوض- عادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، (٥٦١/٣).

(٥) (عُكْبَرَا) بضم أوله، وسكون ثانيه، وفتح الباء الموحدة، وقد يمد ويقصر، وهو اسم بليدة من نواحي دجيل قرب صريفين وأوانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، والنسبة إليها عكبريّ وعكبراويّ. ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين الحموي، دار صادر-بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، (١٤٢/٤).

(٦) الأنساب، السمعاني، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي اليماني، مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر أباد، ط١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م، (٢٦١/٢). اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، دار صادر-بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (١٦٠/١).

(٧) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (١٠٠/١٢). وينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ابن ماكولا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، (٣٣٠/١).

(٨) المنتظم، ابن الجوزي (١٠٠/١٤).

(٩) تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٠هـ، (٨٦٠/١٢).

(١٠) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، دار هجر-الجيزة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (٢٢٣/١٥).

(١١) اللباب في تهذيب الأنساب، ابن الأثير، (٣١٥/٢).

(١٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ (٣٢٦/١٢).

(١٣) المنتظم، ابن الجوزي، (٣٩٠/١٤).

(١٤) طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، (١٤٥/٢).

(١٥) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١٠٠/١٢).

(١٦) ينظر: مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط٢، ١٤٠٩هـ، ص (٦٨٧).

(١٧) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١٠٠/١٢) ، و الأعلام، الزركلي، دار العلم، ط١٥، ٢٠٠٢م، (١٩٧/٤).

(١٨) البداية والنهاية، ابن كثير، (٤٧٣/١٥).

(١٩) العلو للعلي الغفار، الذهبي، تحقيق: أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف-الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ص (٢٣٤).

(٢٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق بإشراف: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ (٥٢٩/١٦).

(٢١) مناقب الأمام أحمد، ابن الجوزي، ص (٦٨٧).

(٢٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١٠٠/١٢).

(٢٣) طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، (١٤٦/٢).

(٢٤) المرجع السابق، (١٠٠/١٢).

(٢٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: حسن سويدان، دار القلم-دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٣٤.

(٢٦) الإكمال، ابن ماكولا، (٣٣٠/١).

(٢٧) الأنساب، السمعاني، (٢٦١/٢).

(٢٨) البداية والنهاية، ابن كثير، (٤٧٣/١٥).

(٢٩) ينظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، (١٥٢/٢).

(٣٠) الشرح والإبانة -الإبانة الصغرى-، ابن بطة، تحقيق: عادل عبدالله آل حمدان، ط٤، ١٤٣٥هـ، ص(١٠).

(٣١) اللباب، ابن الأثير، (٣٥١/٢).

(٣٢) الإكمال، ابن ماكولا، (٣٣٠/١).

(٣٣) ينظر: المغني في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة، دار الفكر-بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، (١٣٠/٨).

(٣٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، (٣٦/١).

(٣٥) فتح الباري، ابن رجب، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي-الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ، (٣٣٨/١).

(٣٦) ينظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، (١٤٤/٢-١٥٢).

(١) ينظر: الإبانة الكبرى، ابن بطة، تحقيق: حمد التويجري، الناشر: دار الراية، ط٢، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م (١٨/٤-٢٣).

(١) الإبانة الصغرى، ابن بطة، ص (٥-٧).

(٣٩) الإبانة الكبرى، ابن بطة، ، (٦٢٥/٢).

(٤٠) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، (باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) ، رقم (٢٦٩٧) ، (١٨٤/٣). ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، (باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور)، رقم (١٧١٨)، (١٣٤٣/٣). وابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (١٤٧)، (٣١١/١).

(٤١) رواه الترمذي في سننه، (باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع) ، رقم (٢٦٧٦) ، (٤٤/٥) ، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". والحاكم في مستدركه، رقم (٣٢٩)، (١٧٤/٤)، وقال: "هذا حديث صحيح ليس له علة".

(٤٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (١١)، (١٧٧/١). والطبراني في الكبير، رقم (١٠٤٦٣)، (١٢٦/٩). والهيثمي في الزوائد، كتاب العلم، (باب في البدع والأهواء)، رقم (٨٩٤)، (١٨٨/١)، وقال: "رجاله موثقون".

(٤٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (١٧٥) ، (٣٢٧/١). والدارمي في سننه، كتاب العلم، (باب في كراهية أخذ الرأي)، رقم (٢٢٤)، ص (١٤٣). وصححه ابن كثير في كشف الخفا، رقم (٦٣)، (٤٤/١). والهيثمي في الزوائد، كتاب العلم، (باب الاقتداء بالسلف) رقم (٨٥٣)، (١٨١/١)، وقال: "رجاله رجال الصحيح".

(٤٤) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (٢٦٢/٥).

(٤٥) الشرح والإبانة -الإبانة الصغرى-، ابن بطة، ص (١٢٢)،

(٤٦) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٤٢١/١).

(٤٧) ينظر: تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، دار الوطن-الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، (٧٢/٣).

(٤٨) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٢١٨/١).

(٤٩) الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: محمد الشقير وآخرون، الناشر: دار ابن الجوزي-السعودية،٢٠٠٨م، ط١ ، (٥٤٠/٢).

(٥٠) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، (باب تأليف القرآن)، رقم (٤٩٩٣)، (١٨٥/٦).

(٥١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة – الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م (١٣٥/١).

(٥٢) ينظر: قواعد الدعوة، وليد السعيدان، دار كنوز اشبيليا-الرياض، ط١، ١٤٣٣-٢٠١٢م، ص(١٣٩).

(٥٣) الإبانة الصغرى، ابن بطه، ص(١٢٢).

(٥٤) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٦٤٩/٢).

(٥٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، (باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس)، رقم (٨)، (١١/١). ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس)، رقم (١٩)، (٤٥/١).

(٥٦) حاشية الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن قاسم، دار الزاحم، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص(٧٦).

(٥٧) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، دار الوطن-الرياض، ١٤٢٦هـ، (٥٠٢/٢-٥٠٣).

(٥٨) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، إشراف: محمد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط٢، ١٤٢١هـ، (٤١٨/٩).

(٥٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (١٣/٣).

(٦٠) الإبانة الصغرى، ابن بطه، ص (٢٥-٢٦).

(٦١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٥٩/٢٢).

(٦٢) رواه الترمذي في سننه، (باب ما جاء في افتراق هذه الأمة)، رقم (٢٦٤١)، (٢٦/٥)، وقال: "هذا حديث حسن غريب". قال صاحب تحفة الأحوذي: حسّن الترمذي الحديث لاعتضاده بأحاديث أخرى. ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد المباركفوري، دار الكتب العلمية-بيروت، (٣٣٤/٧).

(٦٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، (باب قوله: [ژ ژ ڑ ڑ ک])، رقم (٤٩٠٧)، (١٥٤/٦). ومسلم في صحيحه، كتاب البرّ والصلة والآداب، (باب نصر الأخ ظالماً أو مظلومًا)، رقم (٢٥٨٤)، (١٩٩٨/٤).

(٦٤) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٣٨٨/١).

(٦٥) الاعتصام، الشاطبي، (٢٨/١).

(٦٦) الفرق بين الفرق، ابن طاهر البغدادي الأسفراييني، الناشر: دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص (١٢).

(٦٧) رواه الترمذي في سننه، (باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع)، رقم (٢٦٧٦)، (٤٤/٥)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح". والحاكم في مستدركه، رقم (٣٢٩)، (١٧٤/٤)، وقال: "هذا حديث صحيح ليس له علة".

(٦٨) رواه الترمذي في سننه، (باب ما جاء في افتراق هذه الأمة)، رقم (٢٦٤١)، (٢٦/٥)، وقال: "هذا حديث حسن غريب". قال صاحب تحفة الأحوذي: حسّن الترمذي الحديث لاعتضاده بأحاديث، (٣٣٤/٧).

(٦٩) ينظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط١، ١٤١٠هـ، ص (٢٨). وينظر: إتحاف أهل الألباب، وليد السعيدان، دار الأصحاب-الرياض، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص (١٠).

(٧٠) رواه القاضي عياض في ترتيب المدارك، (باب اتباع مالك للسنن وكراهيته المحدثات)، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، الناشر: فضالة-المغرب، ط١، ١٩٧٠م، (٤١/٢).

(٧١) قال الشيخ عبدالعزيز الراجحي شارحاً لهذه المسميات هذه أسماء كأنها ألقاب أو فرق أو تحزبات كانت موجودة عندهم في ذلك الزمن، ينظر: شرح الوصية الكبرى لابن تيمية المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي مصدر الكتاب: دروس صوتية موقع المكتبة الشاملة https://shamela.ws/، (١١/ ٢)

(٧٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤١٥/٣).

(٧٣) ينظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، ص (٣٠-٣٢-٣٥).

(٧٤) رواه مسلم في صحيحه بنحوه، كتاب الإمارة، (باب الأمر بلزوم الجماعة) ، رقم (٥٣) ، (١٤٧٦/٣). وابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢)، (٢٨١/١-٢٨٢-٢٨٣).

(٧٥) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، (٢٣٨/١٢).

(٧٦) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (١٢٥) ، (٢٩٢/١). وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصيام، (باب ذكر تمثيل الصائم في طيب ريحه)، رقم (١٨٩٥)، (١٩٥/٣). والحاكم في مستدركه، كتاب الصوم، رقم (١٥٣٤)، (٥٨٢/١)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٧٧) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، (باب الأمر بلزوم الجماعة) ، رقم (٥٨) ، (١٤٧٨/٣). وابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (١٣٨)، (١٩٠/١).

(٧٨) أي شرور وفساد، وشدائد وأمور عِظام. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٢٧٩/٥).

(٧٩) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، (باب حُكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع) ، رقم (٥٩) ، (١٤٧٩/٣). وابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (٣٩)، (٣٠٢/١).

(٨٠) سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، دار الكتاب العربي،ط٨، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، (٥٢٢/٣).

(٨١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٢٨/٢٨).

(٨٢) أصول السنة، أحمد بن حنبل، دار المنار-السعودية، ط١، ١٤١١هـ، ص (٤٥).

(٨٣) شرح السنة، البربهاري، تحقيق: محمد القحطاني، دار ابن القيم-الدمام، ط١، ١٤٠٨هـ، ص (٢٩).

(٨٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٢٨/٢٨).

(٨٥) ينظر: السيل الجرار، الشوكاني، تحقيق: محمود زايد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، (٣٣٢/٣).

(٨٦) رواه الدارمي في سننه، (باب في ذهاب العلم)، رقم (٢٥٧)، (٣١٥/١). وابن عبدالبر في الجامع، (باب جامع في فضل العلم)، رقم (٣٢٦)، (٢٦٣/١).

(٨٧) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٥٥١/٢-٥٥٤).

(٨٨) ينظر: المصدر السابق، (٥٥٥/٢-٥٥٦).

(٨٩) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٥٥٧/٢-٥٥٩)

(٩٠) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤١٦/٣).

(٩١) المصدر السابق، (٢٠٧/٢٠).

(٩٢) رد المحتار، ابن عابدين، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، (٣٨٥/١).

(٩٣) ينظر: البداية والنهاية، (٤٣/١٥).

(٩٤) ينظر: مرقاة المفاتيح، علي الهروي، دار الفكر-بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، (٣١/١-٣٢). وينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء، تحقيق: مير محمد خانه-كراتشي، (٤٣٣/٢). وينظر: أدب الاختلاف في الإسلام، طه العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٧م، ص (١١٦).

(٩٥) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل الغرازي، دار ابن الجوزي-السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ، (١٣٦/٢).

(٩٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب)، رقم (٤١١٩)، (١١٢/٥). ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، (باب المبادرة بالغزو)، رقم (١٧٧٠)، (١٣٩١/٣).

(٩٧) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق بإشراف: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (١٦/١٠).

(٩٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، (باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة)، رقم (٧٠٧٤)، (٥١/٩). وينظر: الكواكب الدراري في شرح البخاري، الكرماني، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، (١٧٠/١٤).

(٩٩) رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم (٢٢٣٩٣)، (٧٧/٣٧). والترمذي في سننه، (باب ما جاء في الأئمة المضلين)، رقم (٢٢٢٩)، وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ صحيح". (٥٠٤/٤)،

(١٠٠) إبطال الحيل، ابن بطة، الناشر: دار الأمر الأول-الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص (٢٨).

(١٠١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، رقم (١٩١٠)، وقال: "هذا موقوفٌ، وإسناده إلى شريك مجهول" (٣١١/٢).

(١٠٢) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٤٨١/٢).

(١٠٣) المصدر السابق، (٣٢٥/٤).

(١٠٤) بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الكتاب العربي-بيروت، بدون طبعة، وتاريخ نشر، (٢٦٠/٢).

(١٠٥) الإبانة الصغرى، ابن بطه، ص (٣٠١-٣٠٥).

(١٠٦) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (١٣٣/٦).

(١٠٧) رواه ابن بطة في الإبانة الصغرى، رقم (٩٣)، ص (٦٧).

(١٠٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٤٥/٢).

(١٠٩) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، (باب العلم قبل القول والعمل)، رقم (٦٧)، (٧١/١).

(١١٠) رواه أحمد في مسنده، رقم (٢١٧١٥)، (٤٦/٣٦). وأبو داود في سننه، كتاب العلم، (باب الحث على طلب العلم)، رقم (٣٦٤١)، (٤٨٥/٥). والترمذي في سننه، (باب فضل الفقه على العبادة)، رقم (٢٦٨٢)، (٤٨/٥)، وقال: وليس عندي إسناده بمتصل. وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، (باب الزجر عن كتبة المرء السنن..)، رقم(٨٨)، (٢٨٩/١). وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم (٧٦٦١)، (٧٧٦/٢).

(١١١) إبطال الحيل، ابن بطه، ص(٣١-٣٢).

(١١٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، (باب ما يُذكرُ في قرن المائة)، رقم(٤٢٩١)، (١٠٩/٤). والطبراني في الأوسط، رقم (٦٥٢٧)، (٣٢٣/٦). وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: "سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات"، ص(٢٠٣).

(١١٣) رواه ابن وضاح في البدع، (باب ما يكون بدعةً)، رقم (٣)، ص (٢٦).

(١١٤) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (١٩٧/١).

(١١٥) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، (باب المجروح يتمم)، رقم (٣٣٦)، (٢٥٢/٢). وابن ماجه في سننه، (باب المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل)، رقم (٥٧٢)، (٣٦٢/١). وابن الملقن في البدر المنير، (باب التيمم)، رقم(٣)، (٦١٥/٢)، وقال: "وهذا إسناد كل رجاله ثقات".

(١١٦) الجواب الكافي، ابن القيم، دار المعرفة-المغرب، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص (٨).

(١١٧) ينظر: الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٣٢٩/٥-٣٤٥)، (٢٩٩/٦).

(١١٨) متن الطحاوية، الطحاوي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ص (٨٢).

(١١٩) رواه أحمد في مسنده، رقم (٦٧٣٣)، (٣٤٥/١١). والحاكم في مستدركه، (باب توقير العالم والعلم)، رقم (٦٦٥)، (٣٨٢/١)، وقال: "هذا حديث على شرط مسلم". وابن عبد البر في الجامع، (باب في فضل العلم)، رقم (٢٦١)، (٢٣٤/١).

(١٢٠) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء-الرياض،١٤٠٣هـ، ص (٨).

(١٢١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، الناشر: دار عالم الكتب-بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ، (١٩٣/٢).

(١٢٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، (باب قول الله: **[وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ]**)، رقم (٣٤٤٥)، (١٦٧/٤).

(١٢٣) رواه أحمد في مسنده، رقم (٣٢٤٨)، (٢٩٨/٥). وابن ماجة في سننه، (باب من أين ترمى جمرة العقبة)، رقم (٣٠٢٩)، (٢٢٨/٤). والحاكم في مستدركه، كتاب الصوم، رقم (١٧١١)، (٦٣٧/١)، وقال: " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين".

(١٢٤) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (١٦٤/١-١٦٥).

(١٢٥) الإبانة الصغرى، ابن بطه، ص (٢٤).

(١٢٦) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (١٦٨/١).

(١٢٧) المصدر السابق، (٥٣٥/٢).

(١٢٨) ينظر: منهاج السنة، ابن تيمية، (٣٤٩/٢-٥٦٥)، (٤٤١/٥)، (٣٤٢/٨). وينظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود الخلف، ١٤٢١هـ، (٢٠/١).

(١٢٩) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٨٢٦/٢).

(١٣٠) ذكر البخاري في صحيحه، (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم)، رقم (٦٩٣٠)، (١٦/٩): أن ابن عمر ﷺ كان يرى الخوارج شرار خلق الله؛ لتحريفهم معاني كتاب الله بحملهم الآيات على غير ما أنزلت له، وقال ﷺ: "إنهمُ انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين".

(١٣١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، الناشر: دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ، (٦١٩/٦).

(١٣٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، (باب قتل الخوارج والملحدين)، رقم (٦٩٣٠)، (١٦/٩). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، (باب ذكر الخوارج وصفاتهم)، رقم (١٠٦٤)، (٧٤١/٢).

(١٣٣) الرد على البكري، ابن تيمية، تحقيق: محمد عجال، مكتبة الغرباء-المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ، (٤٨٧/٢).

(١٣٤) ينظر: الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: مانع الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ، (٣٣٣/١-٣٣٨).

(١٣٥) ينظر: تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة، التأثير، المستقبل، معتز الخطيب، وآخرون، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٤م، ص (١٣-٢٦).

(١٣٦) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٥٨/٤).

(١٣٧) الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٣٩٠/١).

(١٣٨) المصدر السابق، (٤١٩/١).

(١٣٩) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود-السعودية، ط٢،١٤١١هـ، (٢٩٧/٥).

(١٤٠) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، (باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلُّف ما لا يعنيه)، رقم (٧٢٩٦)، (٩٦/٩). ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، (باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها)، رقم (١٣٤)، (١٢٠/١). وابن بطة في الإبانة الكبرى، رقم (٣٢٨)، (٤١٤/١).

(١٤١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم (٦٣١٩)، (٢٥٠/٦). وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم(٢٩٧٥)، (٥٧٢/١).

(١٤٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، (باب ما ذكر في الذات)، رقم (٦١٨)، (٤٦/٢). ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب، (باب في الترغيب في التفكر في آلاء الله)، رقم (٦٦٨)، (٣٨٨/١). قال ابن حجر في الفتح: "وسنده جيد"، (٣٨٣/١٣).

(١٤٣) يوصي الباحث بالنظر والاستزادة في هذه القضية في كتاب: مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(١٤٤) وحدة الوجود: أصله مذهب فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة. ينظر: الموسوعة الميسرة، (٧٨٣/٢).

(١٤٥) ينظر: الإبانة الكبرى، ابن بطه، (٩١/٧-٢٠١-٢٤٤-٣١٣).

فهرس المصادر والمراجع

-الإبانة الكبرى، ابن بطة، تحقيق: عثمان الأثيوبي، رضا نعسان، يوسف الوابل، حمد التويجري، الناشر: دار الراية، ط٢، الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، الناشر: دار هجر-الجيزة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- إبطال الحيل، ابن بطة، الناشر: دار الأمر الأول-الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

- إتحاف أهل الألباب، وليد السعيدان، دار الأصحاب-الرياض، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- الجواب الكافي، ابن القيم، دار المعرفة-المغرب، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء، تحقيق: مير محمد خانه-كراتشي.

- أدب الاختلاف في الإسلام، طه العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٧م.

- الرد على البكري، ابن تيمية، تحقيق: محمد عجال، مكتبة الغرباء-المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ.

- السيل الجرار، الشوكاني، تحقيق: محمود زايد، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

- الشرح والإبانة -الإبانة الصغرى-، ابن بطة، تحقيق: عادل عبدالله آل حمدان، ط٤، ١٤٣٥هـ .

- أصول السنة، أحمد بن حنبل، دار المنار-السعودية، ط١، ١٤١١هـ.

- أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود الخلف، ١٤٢١هـ.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: محمد الشقير وآخرون، الناشر: دار ابن الجوزي-السعودية، ط١، ٢٠٠٨م.

- الفرق بين الفرق، ابن طاهر البغدادي الأسفراييني، الناشر: دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

- اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، الناشر: دار عالم الكتب-بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ.

- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل الغرازي، دار ابن الجوزي-السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ

- الكواكب الدراري في شرح البخاري، الكرماني، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عطا، مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف: مانع الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية،ط٤، ١٤٢٠هـ.
- بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الكتاب العربي-بيروت، بدون طبعة، وتاريخ نشر.
- ترتيب المدارك، تحقيق: عبدالقادر الصحراوي، الناشر: فضالة-المغرب، ط١، ١٩٧٠م.
- تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، دار الوطن-الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة – الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.
- تنظيم الدولة الإسلامية: النشأة، التأثير، المستقبل، معتز الخطيب، وآخرون، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٤م.
- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط١، ١٤١٠هـ.
- حاشية الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن قاسم، دار الزاحم، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود-السعودية، ط١،١٤١،٢هـ.
- رد المحتار، ابن عابدين، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ابن تيمية، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء-الرياض،١٤٠٣هـ.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق بإشراف: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- شرح السنة، البربهاري، تحقيق: محمد القحطاني، دار ابن القيم-الدمام، ط١، ١٤٠٨هـ.
- شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، دار الوطن-الرياض، ١٤٢٦هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، الناشر: دار المعرفة-بيروت، ١٣٧٩هـ.
- قواعد الدعوة، وليد السعيدان، دار كنوز اشبيليا-الرياض، ط١، ١٤٣٣-٢٠١٢م.
- متن الطحاوية، الطحاوي، المكتب الإسلامي-بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، إشراف: محمد الشويعر، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط٢، ١٤٢١هـ.
- مرقاة المفاتيح، علي الهروي، دار الفكر-بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.